الإهـــــداء

إلى الّذي أخرج الإنسانيّة من الظُّلمات إلى النّور ومن الضّلالة إلى الهداية،النّبيّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم سيّد الكونين والثّقلين.

إلى سندي وجنّتي وفلاحي والديّ الحبيبين.

إلى أزري وعوني وملاذي أخي العزيز وأخواتي الغوالي.

وإلى ضحكات البيت الكبير، الأحفاد الصّغار نور الهدى، زكريّاء،ومحمّد الأمير.

شكر وتقدير

قال تعالى"ولئن شكرتم لأزيدنّكم"

فالشّكر كلّ الشّكر لله عزّ وجلّ ،للّذي وهبني عقلا يتفكّر وهداني لإختيار موضوع بحثي هذا.

وقال جلّ جلاله"وقضى ربّك ألا تعبدوا إلّا إيّاه وبالوالدين إحسانا"

والشّكر بعد الله يحقّ للّذين هما سبيلي للجنّة والديّ أطال الله في عمرهما وأمدّهما بالصحّة والعافية.

والشّكر موصول كذلك **للكريم الّذي أكرم كريما فملكه** لمسدّد خُطاي الأستاذ المشرف على إخراج هذه الرّسالة إلى النّور الدّكتور **محمد سعيدي** الّذي شدّ على يديّ مُذ حللت بالجامعة ولم يتركها لحظة والّذي لم يبخل عليّ بالعلم وبالتّشجيع والتّحفيز ،فالشّكر الجزيل والعرفان مقدّم له ولجميع الأساتذة الأفاضل ممّن جمعني بهم سقف العلم وأخصّ بالذّكرهاهنا الدكتورين الّذين زادوني شرفا بموافقتهم على مناقشة بحثي هذا الدّكتور **سعيد المكروم** والدّكتور **عبيد ميلود منقور** ، سدّد الله خطاهم وجعلهم ذُخرًا لنا .

ولا بدّ من أن أذكر رفيقتي الدّرب والسّنوات الخمس بما فيها من سهل وصعب **فاطمة** و **سعاد** حفظهما الله ورعاهما.

موسى خديجة

المقدّمة

الرّحـلات منابع ثريّة لمختلف العلوم ،وهي في العموم سجلّ حقيقيّ لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم النّاس على مرّ الأزمنة والـعـصور.فمنذ وُجِد الإنسان على سطح هذه المعمورة وهو يسير ويبحث فيها محاولا اكتشاف مايحيط به من أسرارها بدءا من رحلة أب البشريّة إلى توسع الإنسان فيم بعد بفكره لتتّسع استطرادا رحلاته الّتي لم تعد مقصورة على سطح الأرض ،بل لتفوق بعد هذا العقل ليلجأ الى الخيال يجوب به عوالم ودُنى أخرى.

حياة الإنسان رحلة دائمة مادام يستنشق الهواء ، بل حتّى إذا فاضت الرّوح إلى بارئها فلربّما تكون بذلك رحلة من نوع جديد !

وللرّحلة أهمّية في مجال المعلومات الجغرافيّة والإجتماعيّة والإقتصاديّة والأدبيّة بل وفي كلّ مجالات الحياة ودروبها ، فهي تعدّ مصدرا من المصادر التّاريخيّة والأدبيّة والجغرافيّة وعونا للإنسان على حدّ سواء.

اعتُبِرت مع مرور الزّمن –الرّحلة- فنّا من الفنون الأدبيّة له خصوصيته ومميّزاته الّتي تُباينِه عن غيره من الفنون الأدبيّة النثريّة الأخرى ، فهو يمنح المبدع وهو الرّحالة حريّة في اختيار المشاهد ، ورصد الحوادث الّتي تُمكّنه من التلوين في أساليبه وموضوعاته الرّحليّة ، كذا تُمكّنه من الإفادة ثقافاته المختلفة وقدراته الإبداعيّة نثرا وشعرا .

هذا التّنوّع والثّراء في موضوعات الرّحلة الواحدة وأسلوبها وأغراضها من رحّالة إلى آخر جعلني أختار **الرّحلة في الأدب العربي** موضوعا لنيل شهادة الماستر رغبة منّي في تدوين رحلة أحد أبرز الرّحالة العرب ألا وهو **ابن خلدون** مُطّلعة بواسطتها على أخبار البلدان والأمصار وتاريخها ممّا زار رحّالتنا

ومطّلعة كذلك على سيرة حياة هذا العلم الفذّ.وقد عنونت بحثي **ب"أدب الرّحلة في العالم العربي دراسة فنّية في رحلة إبن خلدون"** فما هي الرّحلة ؟وهل تعتبر جنسا أدبيا ؟وما هو أدب الرّحلة ؟وماهي أقسامه وأنواعه ؟ وكيف نشأ في العالم العربي؟ومن هو ابن خلدون؟وما هي رحلته؟ هذه الأسئلة وغيرها سأتطرّق لمعالجتها من خلال هذا البحث ،والذّي ارتأيت أن أقسّمه إلى مدخل وفصلين ، أمّا المدخل فعالجت فيه إشكاليّة تجنيس الرّحلة بدءا من تعريفها اللّغوي والإصطلاحي ثمّ تجنيس أدب الرّحلة إلى الفرق بين المصطلحات التاليّة "الجغرافيا الوصفيّة ،الأدب الجغرافي ،أدب الرّحلات" .وأمّا الفصل الأوّل فعنونته بماهية أدب الرّحلة عند العرب وأدرجت ضمنه مباحث أربع هي على الترتيب :تعريف أدب الرّحلة ،قيمة أدب الرّحلة وأهمّيته و عن المبحث الثّالث فكان عن أقسام أدب الرّحلة (أ/الرّحلة الشّعريّة والرّحلة النّثريّة - ب/الرّحلة الواقعيّة والرّحلة المُتخيّلة) ،والمبحث الرّابع كان عن نشأة أدب الرّحلة عند العرب.

وأمّا الفصل الثّاني فعنونته بالدّراسة الفنّيّة لرحلة ابن خلدون ،وأتبعته بـثلاثة مباحث هي :أمّا المبحث الأوّل فكان عن بن خلدون حياته، نشأته، نسبه، مُؤلّفاته، ورحلاته، وجاء المبحث الثّاني عن التّعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ، وكان المبحث الثّالث والأخير عن البناء الفنّي للّرّحلة الّذي عالجت فيه "المنهج، اللّغة والأسلوب، الحوار والوصف"في الرّحلة.

وقد أجملت نتائج هذا البحث في خاتمة هي نهايته،وقد سلكت فيه سبيل المنهج التّاريخي الوصفي التّحليلي المناسب لطبيعة هذا الموضوع.

وقد اعتمدت خلال بحثي هذا على مصادر ومراجع مختلفة لعلّ أهمّها وأبرزها رحلة ابن خلدون المسمّاة التّعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا لصاحبهاعبد

الرّحمن بن خلدون ،رحلة ابن خلدون تحقيق محمد بن تاويت الطّنجي، الرّحلة في الأدب العربي حتّى نهاية القرن الرّابع الهجري لناصر عبد الرّزاق الموافي ،الرّحلة في الأدب العربي(التّجنيس ،آليات الكتابة،خطاب المتخيّل) لحليفي شعيب،كذا أدب الرّحلة في التّراث العربي لفؤاد قنديل ،وغيرها الكثير من المراجع والمجلّات والدوريات الّتي ارتكزت عليها في بحثي هذا.

أمّا عن الصعوبات الّتي واجهتني خلال هذا البحث فلا أذكر منها إلّا أعظمها وهو سوء التّسيير للوقت منّي ،والّذي تجاوزته بتوجيه وإرشاد من الأستاذ المـشـرف.

فالشّكر موصول لكلّ من أعانني وسدّد خُطاي وصوّبني إلى مايفيد من أساتذة على رأسهم الأستاذ **محمد سعيدي** المـشـرف عليّ، وإلى زملائي من طلبة العلم والدّراسة تـخـصّص الدّراسات الأدبيّة المقارنة ،والشّكر الجزيل كذلك للعائلة على دعـمها المتـواصل لي .

فأسأل الله التّوفيق في هذه الدّراسة على أن يجعلها عملا خالصا لوجهه عزّ وجلّ متقبّلا منه جلّ جلاله، مفيدا لمن بعـدي من طلبة العلم وانطلاقة لآخـرين، إنّه وليّ التّوفيق وهو نعم المولى ونعم النّصـير.

طالبة فصل الماستر

موسى خديجة

2016/05/17

الفصـــل الأول : ماهية أدب الرحلـــــــة عند العرب

- المبحــث الأول : تعريف أدب الرحلة لغةً و اصطلاحاً
- المبحـــث الثاني : قيمة أدب الرحلـــــــــة و أهميته
- المبحـــث الثالث : أقسام أدب الرحلـــــــــــــــة
- المبحـــــث الرابع : نشـــــأة أدب الرحلـــة عند العرب.

الفهرس:

1. الإهداء.

2. الشّكر والتّقدير

3. المقدّمة.....-أ - ب -

4. المدخل:

1. تعريف الرّحلة(لغة/اصطلاحا).....- 1 -

2. تجنيس الرّحلة.....- 3 -

3. الجغرافيا الوصفيّة.....- 9 -

4. الأدب الجغرافي.....- 10-

5. أدب الرّحلات.....- 11-

- الفصل الأوّل: ماهية أدب الرّحلة عند العرب.
  - المبحث الأوّل:تعريف أدب الرّحلة(لغة/اصطلاحا).....- 14-
  - المبحث الثّاني:قيمة أدب الرّحلة وأهمّيته.....- 21-
  - أقسام أدب الرّحلة : أ/الرّحلة الواقعيّة-الرّحلة المتخيّلة.....- 28-

    ب/الرّحلة الشّعريّة-الرّحلة النّثريّة.....- 30-
  - نشأة أدب الرّحلة في العالم العربي.....- 33-

- **الفصل الثّاني: دراسة فنّية في رحلة ابن خلدون.**
  - **المبحث الأوّل :التّعريف بابن خلدون.**
    - **أ/ حياته ونشأته.....- 39-**
    - **ب/ مؤلّفاته..... -42-**
    - **ج/ رحلاته.....- 42-**
  - **المبحث الثّاني :التّعريف برحلة ابن خلدون غربا وشرقا.....- 44-**
  - **المبحث الثّالث :البناء الفنّي للرّحلة .**
    - **أ/المنهج.....-50-**
    - **ب/ اللّغة والأسلوب.....- 53-**
    - **ج/ الحوار.....-57-**
    - **الوصف.....-58-**
- **الخاتمة.....- 64-**
- **قائمة المصادر والمراجع.....- 66-**
- **الفهرس.....- 72-**

المبحث الثاني :قيمة أدب الرحلة وأهميتها

تكتسي كتب الرحلات أهمية كبيرة في رصد الحياة الثقافية والإجتماعية للشعوب وتصوير حضارتهم وطرق عيشهم ،حيث زخر فن الرحلة بمؤلفات عدّة منذ القرن الثالث للهجرة إلى يومنا هذا ، ولعلّ ما يميز هذه المؤلفات هو ذلك التباين الموجود بينها على مرّ العصور .

لذا كانت للرحلات قيمة **تعليمية علمية** من حيث أنّها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان ، وإثراء فكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين [1] ،إلى جانب الأهمية الأخرى وتتجلى في تلك المعلومات التي تقدمها في مختلف الإختصاصات التّاريخية والجغرافية والإجتماعية ،والإقتصادية التي تتجلى لنا من خلال مصنفات الرّحّالين العرب الأوائل ،فتنضم بذلك إلى التّراث العربي الجغرافي والتاريخي بما ساهمت به من مادّة غزيرة وقيمة ،كانت نتاج نظر ومعاينة واستقصاء وقراءة من قبل العلماء الرحالّين أمثال :**عبد الله محمد المقدسي (ت309هـ)،محمد الإدريسي (ت 562هـ)،وأبي الحسن المسعودي .....**[2]

ليكون أدب الرّحلة بمثابة مدوّنة يلجأ إليها الكثير من الدّارسين لإستخلاص العديد من المعارف بكلّ إطمئنان وأريحية ،ففي مجال **التّاريخ** مثلا تقدّم الرّحلات معلومات لم يقدّمها لنا العلم المختص في هذا المجال ,فهي تنقل ذلك الإختصاص بواقعية وبكيفيّة حيّة ، فإذا كان التّاريخ يعمل على وصف واستقصاء حياة البلدان وتاريخها بمختلف مظاهرها (السّياسيّة ،الإجتماعيّة ،الإقتصاديّة والثّقافية)فإنّ الرّحلات "أعطت كلّ ذلك بعده المناسب وتطرّقت إلى تحليل جوانب لم تتطرق إلى

[1]- حسين محمد فهيم ،أدب الرحلات ص19

[2]- سميرة انساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ص .37

تحليلها الوثائق التّاريخيّة ، فقامت الرّحلات بوضع كلّ ذلك في دائرة الإشعاع التّي توجّه إلينا لإستجلاء الواقع وإخراج التّاريخ عن حدوده الضّيّقة ".[1]

ويترجع محمد الخضر حسين الفضل لكتب الرّحلة **"في أنّها حفظت لنا جانبا عظيما من التّاريخ إذ أودعت تلك الكتب الكثير ممّا شاهده مؤلّفوها ، من أحوال الدّول ، ووقائعها ، كما أنّها ساهمت في توطيد الصّلات بين الشّعوب ، وحصول التّعارف بينها "[2]**

والأمر نفسه بالنّسبة **للجانب الجغرافيّ** ،فإذا كان الرّحالة "يدوّن مشهاداته الجغرافيّة على سطح الأرض ، إنّما يعمل في خدمة علم الجغرافيا ، فهو عندما يصف الممالك والبلدان والأصقاع والأقاليم والمدن والمسالك ، وعندما يتحدّث عن الطّبيعة والمناخ وظاهرات توزيع السّكان وغير ذلك ممّا يعدّ من صميم الدّراسات الجغرافيّة، إنّما يعتبر من هذه النّاحية مرجعا أساسيّا بالنّسبة لمن يتناول هذه الموضوات بالدّراسة

....ذلك أنّ الرّحلات سجّل حقيقيّ لمختلف مظاهر الحياة في مجتمع بعينه ، ومرحلة تاريخيّة محدّدة .[3]

وإذا أمعنا النّظر في مؤلّفات أدب الرّحلة العربي نجد القيمة العلميّة تتجلّى بشكل واضح ، كما هو الحال في رحلات **المقدسي، والبيروني** ....."إذ لم يكن هدفهم الرّئيس الرّحلة في حدّ ذاتها قدر اهتمامهم بوضع المؤلّف في تقويم البلدان ، كما فعل المقدسي مثلا ، أو وصف حضارة غير إسلاميّة كما جاء في دراسة البيروني للثّقافة الهنديّة ، إنّنا نرى في هذه الأعمال ، وما قدّمت من مادّة ثريّة ،

3- نوال عبد الرحمن الشوابكة ،أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ،دار المؤمون للنشر والتوزيع ط1 ،عمان2008 ص21

[2]- سميرة أنساعد الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ص38

[3] - سيد حامد النساج ، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا ، مكتبة غريب ،د.ط ،القاهرة ، د.ت ،ص8

دليلا بارزا على قيمة رحلاتِهم في تزويدهم مُباشرة بالمعلومات المستمدّة من الملاحظة المباشرة ، والمعاينة الشّخصيّة عن الأحوال السّياسيَّة والإجتماعيّة والثّقافيّة لِلبُلدان الّتي زاروها أو أقامُوا فِيها "[1] .

مَيَّزَت هذه القِيمة العلميّة أدب الرّحلة، ذلك أنّ أصحابَها شُهود عيان لمختلف الأحوالِ والأوضاع ،حيث ازداد الإهتِمام بِهذا الفنِّ ما أدّى إلى ازدهاره .

فالرّحالة يتَحرّون استِعمال الأسلوب العلمي في تدوين رحلاتِهم وبذلك فهو يعكس لنا ما **"وصلوا إليه مِن علم غزير وسعة فهم مع حرصهم على تدوين مُلاحظاتِهم أوّلا بأوّل ، ومن لم يتَسنّ له ذلك قام بتدوين رحلتِه عقْب عودتِه إلى بِلاده والتِزامه جانِب الدِّقة وقوّة المُلاحظة في كلّ صغيرة وكبيـــرَة "[2] .**

والرّحالَة المُجتهد ، لا ينزل بوطن إلاّ **"التقى بطائفة من فضلائه ، والشّأن أنْ يَصف لهم بعض النّواحي من حياة قومه العلميّة والإجتماعيّة ، ثمّ إذا عاد إلى وطنه وصف لهم حال الأوطان التّي نزل بِها ، فيكون كلّ من الشّعوب التّي رحل منها أو نزل بها على خبرة من حال الشّعوب الأخرى "[3]** ،ثمّ إنّ الرّحالة وهو يُقدم هذه المعارف المتعدّدة المناحي فإنّه يقدّم في الوقت نفسه جانبا من سيرتِه الذّاتيّة من خلال سرد كل ما يتعلق به في رحلتِه ، لأنَّ الرّحالة وهو يسرد لنا رحلته ـ من خلال تنقلاته ومُشاهداته ـ في ترتيب زمني دقيق ، هو في الحقيقة يُقدّم لنا جانبا من حياته ، فتكون بذلك الذّات عنصرا حاضرا في

---

[1] ـ حسين محمد فهيم ،أدب الرحلات ص16.

[2] ـ عواطف محمد يونس نواب ، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن هجريين ،دراسة تحليلية مقارنة ، مكتبة الملك فهد الوطنية ،د.ط، الرياض 1966 ص88 .

[3] ـ فؤاد قنديل ،أدب الرحلة في الثراث العربي ، مكتبة الدار العربية ، القاهرة ،ط2 ،2002 ص344 .

الـــــــرّحلة بـصـورة ثـانـويَّـة أو صـورة مـحـوريـّة فـالـرِّحـلـة تـطـلـعـنـا عـلـى **"سـيـرّة أصـحـابـهـا وعـلـى حـقِـيـقـتـهـم ،وتـكـشِـف مـواهـبـهـم ودوافـعـهـم لـلـقـيـام بـتـلـك الرّحـلات ،والأثـر الّـذي خـلّـفـوه لـلأجـيـال "[1] .**

ووجـود هـذا العـُنْـصُرِ فـي أدب الـرّحـلـة قـَرّبـَه مـن الشّـكـْل الـفَـنّـي ، كـمـا لا نـُغـْفِـل فـي هـذا الصـّدد ذِكـر الـفـوائـِد الـتـّي تـعـود عـلـى الـرّحـالـة المـُؤلّـِف ذاتـِه مـن :**"اكـتـسـاب لـلـتّـجـربـة ،والـدَّرْبـة فـي مـجـال التّـأْلـيـف والتّـنـويـع الأسـلـُوبـي ،وفـي مـَجـال التّـَعـبـيـر الأدبـي ، وكـذلك تـنـويـع لـلـثّـقـافـة الشّـخـصـيـّة وعـدم التّـركـيـز عـلـى مـجـــــال واحـد، أو إخـتـصـاص ، إذ تـجـرّه الـكـثـيـر مـن المـنـاسـبـات ، خـلال تـألـيـف الرّحـلـة إلـى الـخـوض فـي مسائـلَ مـُخـتـلـفـة ،عـلـمـيّـة وأدبـيّـة شـتـىّ ، تـدفـعـه إلـى البـحـث ، والتّـحـقـيـق ، والتّـأكّـد مـن صِـحَّـة أقـوالِـه وسـلامـة أفـْكارِه ، ومـنـاهـِجِـه "[2] .**

مانستخلصه من قيمة أخرى لفن أدب الرحلة ،**هي <u>القيمة الأدبية</u>** فهو بالإضافة إلى ما يحمله من فائدة للمؤرخ والجغرافي وعالم الاجتماع ،فإنّه يحفل أيضا بالعديد من :**"الأساطير والخرافات ، وبعض المحسنات البلاغية ، وجمال اللفظ ،وحسن التعبير ، وارتقاء الوصف ، وبلوغه حدّا كبيرا من الدّقة ، علاوة على ما يستعين به أحيانا من أسلوب قصصي ، سلس ،مشرق ، وهذا هو الذي يجعل بعض الدارسين يدخلون أدبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي "[3].**

فكل إضافة في الكتابة الرحلية تقدم :"خدمة لفن الرحلة ، عن طريق التنويع في الكتابة ، وتخصيب التراث السردي ،واغنائه ،وتوثيق الصلة بين أشكال مختلفة أدبية ، بهدف كلّها إلى سرد التجربة الذاتية ، وتعميق المعرفة بالعالم والآخر "[4].

فمن الناحية الأسلوبية نجد أنّ أدب الرحلة يتنوّع أسلوبه من سرد قصصي ،وحوار ووصف دقيق للمشاهدالمختلفة والعجيبة ، هذا بالإضافة إلى تزويد رحلته بالعديد من

---

[1] ـ نوال عبد الرحمن الشوابكة ، أدب الرحلة الأندلسية حتى نهاية القرن 9 هـ، ص244 .
[2] ـ سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ص39 .
[3] ـ سيد حامد النساج مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا ص8 .
[4] ـ سميرة انساعد ،الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ص39 .

الظواهر البلاغية (كالسجع ،والطباق ، والجناس ،والمقابلة .....)بطريقة مسترسلة دون تكلف أو مبالغة حتى لا تفقد الرّحلة فحواها .

وكثيرا ما يلجأ الرحالة إلى التصوير ، فيعمد إلى إبراز فكرته في صورة مرئية محسوسة وملموسة عن طريق "تحويل غير المرئي من المعاني إلى المحسوس ،وتعويم الغائب إلى ضرب من الحضور ...."[1]، الأمر الذي يجعل القارئ يحس وكأنّه رحالة مثله يشاهد كلّ ذلك بعينيه ،طبعا كل هذا بفضل تجسيد ما هو معنوي في صورة مادية حسية ، ولعلّ هذا ما دفع بشوقي ضيف إلى عدّأدب الرحلة نتيجة لما يتسم به **"خير ردّعلى التهمة التي لطالما اتهم بها الأدب العربي ، ونقصد تهمة قصوره في فن القصة "[2].**

إنّ القول بأدب الرحلة فنّ يقترب من فن القصة راجع بالدرجة الأولى إلى طبيعة بعض الرحالة ، هؤلاء الذين مالوا إلى سرد "القصص التي عاشوها أو سمعوا بها ، وكان سردهم لهذه القصص بعفوية وحيوية ، قرّبت الرّحلة من عالم القصة ..."[3].

ولمّا كان لبّ الرحلة وصفها بالانتقال من مكان إلى آخر بوصف لما وقع نظر الرحالة عليه من مشاهدات وما سمعه من أخبار وعاشه من أحداث ، فإنّنا بذلك نسجل حضور الوصف الدقيق في أغلب الرّحلات إلى جانب السّرد ، بل وإنّه لم يقترب من فن القصة وفقط بل اشتمل على يمكن القول ـ جميع الفنون الأدبية على غرار فنّ الرواية في بعض الأحيان .

ولهذا يمكن القول أنّ أدب الرّحلة ليس فنّا لامستقلا بذاته كبقية الفنون الأخرى (قصة ، رواية ، شعر ..) إذ نجد فيه **"من الفنّ القصصي ما يمكن معه أن يمثل جذور القصة الأدبية ، حيث اعتمد على عناصر أساسية واضحة ،هي السرد ، والحوار ، والوصف ،والبدايات والنهايات ، والتشويق ، والإشتمال على هدف وغاية وهو أيضا يمثل شكلا**

[1] ـ بشرى محمد صالح ،الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، المركز الثقافي العربي ط1 ،الدار البيضاء ، المغرب 1994 ،ص3 .
[2] ـ شوقي ضيف ،أدب الرحلات ، ص 6 .
[3] ـ نوال عبد الرحمن شوابكة أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري ص 306 .

أكثر اتساعا ، بما سمح من مساحة لعدد من المستويات اللّغوية أن تظهر شعرا كان أم نثرا ، لتنقل المهم والجديد والممتع والنافع "[1]،لذا كان أدب الرحلة الفن الذي يجمع بين المتعة والفائدة المعرفية .

كما تجدر الإشارة إلى أنّ كثيرا من الرحالين لجؤوا إلى الإستشهاد بأبيات شعرية تبرز أدبيته ، سواء كانت من نظم الرحالة نفسه ،اثباتا لقدرته الشعرية والنثرية في آن ، أو مستشهدا بأبيات غيره ناثباتا لسعة إطلاعه ودقة معلوماته .

فالرحالة حين يستعين بالشعر ، إنّما ليعبر من خلاله عمّا يختلج في نفسه من مشاعر حركاتها مشاهداته وملاحظاته ، ومن هؤلاء نذكر أشهرهم في الثراث الرحلي العربي ابن بطوطة ،حينما أشاد بالغرب قاصدا المغرب العربي في مقابل المشرق ،والتي يعدها أحسن البلدان :**الغرب أحسن أرض ولي دليـــــل عليه .**

لبدر يرقـــــب منه والشمس تسعى إليه .[2]

وكثيرا ما يسيطر على الرحالة الجانب الذاتي ، فنجده يعبر عن أحاسيسه ومشاعره سواء كان شعورا بالفرح أو بالحزن .

فالرحالة ينقل مشاهداته في صورة "ممتعة ،وأخبار تلذ وتمتع ، وتستعرض بصورة أدبية ، تتسق مع النّفس البشرية ، فتشكل رافدا ثريا من روافدالفن والمتعة الأدبية "[3]

فإذا أعجب بشيء أو نقم عليه لم يجد الرحالة وسيلة يعبر بها وينقل تلك العواطف والمشاعر والأحاسيس ليكون لها أثر في ذاك الأخير ليتجاوب معها .

كما يلجأ أحيانا إلى طابع السخرية والفكاهة لإضفاء لمسة لها تأثير على القارئ بل "**قد يصبح هذا الأسلوب الخفيف المرح الساخر علاجا "**[4] ،للحزن والألم النفسي عسى أن ينجح

---

[1] ـ زيتوني لطيف ، السيميولوجيا وأدب الرحلات،عالم الفكر،مج :24 ،ع3 ،1996 ص257 .

[2] ـ ابن بطوطة محمد بن عبد الله ،رحلة ابن بطوطة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ج2،ص332 .

[3] ـ نوال عبد الرحمن شوابكة ،أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري ص53 .

[4] ـ ناصر عبد الرازق الموافي ،الرحلة في الأدب الغربي حتى نهاية القرن الرابع هجري ،ص 58 .

اللهو فيم عجز عنه الجدّ ، وإلى جانب كل هذا (السرد ،الوصف ، الذاتية ، والسخرية)نجد أو نسجل حضور الأسطورة في بعض الرّحلات كرحلة أبي حامد الغرناطي ، ورحلة المسعودي .....

فالرحالة إذن ، ينقل لنا مشاهداته وملاحظاته ومعايناته في عمل فني يتمتع بالأدبية ذاكرا للأحداث كما هي مضيفا إليها تعليقاته ،ولمساته الأدبية والفنية ،وعليه نقول أنّ أدب الرحلة يحمل قيمتين أساسيتين واحدة **علمية** ،وثانية **أدبية** ،فهو ينطلق من ا لواقع، هذا الأخير بما فيه من أحداث لا بدا من أنّها ستحدث تأثيرا على نفسيته ومشاعره ،فيمزج ذلك بخياله ليخرج وينتج لنا تركيبا خلاقا يجتاحه الخيال مرات أثناء السرد حتى يثير الشوق والحيوية لدى المتلقي ،ويدفع عنه الرتابة والجمود ،والملل .

وإلى جانب هاتين القيمتين ،فإنّ أدب الرحلة وكما ذكرنا آنفا يحقق قيمة أخرى ،وهي القيمة التعليمية ، لأنّ الرحالة يستفيد هو الآخر من هذه الرحلة إذ يتعرف على الكثـــــــــــير من المعلومات التي تخص البلد الذي زاره من خلال مخالطته واحتكاكه بالناس ،بالإضـــافة إلى أنّه سيستفيد من العلماء والمثقفين الذين جالسهم وحــاورهم ،مـــــع اكتسابه للخبرة والتجربة "**إذ يحصل على علم وافر وتجارب كثيرة في مختلف الميادين في التربية وأساليب التعليم والتهذيب ، نظرا لما يصادفه أحيانا من مصاعب ،وما يؤكّد ذلك أنّ الراحل حين يعود يعمل في التدريس ،كما كان يكلف بالقضاء ،ومهام أخرى** "[1].

وهنا تبرز القيمة التعليمية للرحلات "فهي أكثر المدارس تثقيفا للإنسان ، واثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين "[2].

[1] ـ نوال عبد الرحمن شوابكة ،أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ،ص53 .
[2] ـ حسين محمد فهيم ،أدب الرحلات ص19 .

المبحث الثالث: أقسام أدب الرحلة

يمكن أن نقسم أدب الرحلات إلى قسمين :

القسم الأوّل : رحلة واقعية ،ورحلة خيالية .

القسم الثاني : رحلة شعرية ، ورحلة نثرية .

وفيما يلي تعريف للقسم الأول :

- **الرحلة الواقعية والرحلة الخيالية** :نعني بها الرحلة التي قام بها الرحالة حقيقة أي أنّها وقعت "ضمن زمان ومكان جغرافي آخر " [1]وهذا هو النوع الذي يخضع للدراسة في حين الرحلة الخيالية هي من صنع خيال الكاتب ،تحدث ضمن زمان ومكان متخيلين يقوم بها الإنسان في مناطق غير حقيقية وتصوّر مغامرات خارقة بقصد التسلية ، وإثارة الخيال ، مثل ذلك السندباد البحري [2].

وإذا كان الرحالة في الرحلة الخيالية يرحل بعقله وقلمه لا بجسده ،فقد ذهب بعض الدارسين إلى القول بضرورة إخراج هذا النوع من أدب الرحلة وإدراجه ضمن فن القصة لطغيان عنصر الخيال فيه ،ولكن عنصر الخيال وحده لا يكفي ،لأنّ هناك عناصر أخرى لا بدّ من توفرها .

وإذا كان الرحالة في الرحلة الواقعية ينقل لنا ما شاهده في البلاد التي زارها بدقة ، كونه تنقل بجسده حقا فيها ، فإنّه في الرحلة الخيالية يطلق أفكاره ومشاعره لتنقله بعيدا واقعه وعالمه إلى أماكن أخرى وأزمنة متباعدة ..

---

[1]ـ ناصر عبد الرزاق الموافي ،الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع ص92 .

[2]ـ محمد رياض وتار ،توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دط

دمشق ،2002 ص23 .

"فالرحلة المتخيلة أو الخيالية لا تتأسس فعليا في الوجود الفيزيقي ،أو تتطلب معيشة على المستوى الواقعي ،وأخرى ذهنية تؤسس لعالم متخيل بجنح إلى صوغ أفكار وتأملات معينة تتماس مع المثالية والعديد من المقولات والتصورات الصوفية ،والفلسفية ،والدينية التي ترسم رحلة النّفس في بحثها عن عالم آخر يكون بديلا عن الواقع ،وصولا إلى المطلق واليقين والحقيقة والمعرفة الخالصة للتطهير "[1].لأنّ الرحالة ـ يقول شوقي ضيف ـ **" الإنسان ولد راحلا ،وإن أعجزته الرّحلة تخيّل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال."[2]**

فالرحالة لمّا يسرد لنا الأحداث يمزج لنا الواقع بالخيال ،وبعبارة أخرى ، إنّه "يتخد أساسا من الواقع ثم يدير حوله وقائع مبتكرة ، كما فعل القصاصون الشعبيون مع رحلتي الإسراء والمعراج "[3].

يرى الدكتور شعيب حليفي أنّ هناك نوعين من الرحلات المتخيلة وجدا في الأدب العربي ،وهما يستندان في اختلافهما إلى مكوّن الفضاء بصفة أساسية ،فمكون الزمن ، وهذين النوعين من الرحلات هما :

1. **رحلات دنيوية** : وهي النصوص الرّحلية التي يتم رسم أحداثها ووقائعها في الدنيا داخل فضاء يكون معروفا أو مرموزا إليه في العالم الواقعي الأرضي في الأزمنة الثلاثة ،بحيث ينصب التركيز فيها ـ الرحلات الدنيوية الزمنية ـ (في الماضي والحاضر) على مكوّن الزمن باعتباره البؤرة التي تحرك النص الرحلي في إطار تقابل المتناقضات وإضاءة منطقة الحلم /المثال الذي تتحقق فيه القيم

[1] ـ الرحلة في الأدب العربي التجنس آليات الكتابة ، خطاب المتخيل ،مرجع سابق ص158 .
[2] ـ شوقي ضيف ، الرحلات ،دار المعارف ط4 ، القاهرة ، دت ص7 .
[3] حسين نصار ،أدب الرحلة ، دار المعرفة + الشركة المصرية العالمية للنشر ،ط 1 القاهرة 1991 ص162 .

المفتوحة ،وتسمو الأخلاق وتسود العدالة .....وكلّها تقديرات نابعة من الحلم الثالي بواقع آخر يطهّر الحاضر الفاسد [1].

2. **رحلات أخروية** : "تضم الرحلات إلى الآخرة عوالم تخييلية مرتبطة بجنوح رسم عوالم الغيب ، وتخيل وقائع يوم القيامة وتصوّر ما يحدث في الجنّة ،والجحيم بأسلوب ترهيبي وترغيبي ، وهذا ما قام به العديد من الفقهاء في إطار ما يسمى بأدب القيامة ،ولعلّ **كتاب التوهم** للمحاسبي يبقى النّصّ الذي يمكن اعتباره أنضج من غيره من النصوص التي تناولت الآخرة ارتحالا تخيليا إليها فقد غختارت تيمة مغايرة تميّزها عن كل ما كتب ، وهي تخيل ما يقع يوم الآخرة من محاكاة للشعراء والأدباء"[2] ،وهو ما تلمسه في الثراث العربي عند **"أبي العلاء المعري في رسالة الغفران"** وهو ما يقابله عند **الغرب "الفردوس المفقود لدانتي "**.فالرحلة المتخيلة جزء من نصوص الرحلة عموما ، يسودها جوّ عام فحواه البحث عن الأنا في الآخر والغير ، كذا التطهر والخلاص للوصول إلى بديل هو يقين ما استحال وجوده في الواقع العيني ،فتمّ طلبه باللجوء إليه في الحلم والتّوهم "[3] ،ويعد **أندري جيد** * واحد من هؤلاء الرّحالة الذي انطلق "**من عالم الواقع وانتقى منه الإنطباعات المؤثرة القوية ،ومزج ذلك بخياله الخصب الخلاق فأخرج لنا تركيبا رائعا تتحد فيه روحه بالعالم ،وتطغى عليه حياة جياشة بفضل ذاتيتها المتدفقة "[4]**. ليخرج لنا عملا ينتقل فيه من مستوى الحقيقة إلى ا لمستوى الأدبي (الخيال) .

---

[1] ـ شعيب حليفي ،الرحلة في الأدب العربي (التجنس ..آليات الكتابة ..خطاب المتخيل)ص159 - 160 .

[2] ـ المرجع نفسه،ص 162 .

[3] ـ المرجع نفسه ،ص165 .

[*] ـ أندري جيد :رحالة فرنسي تعدّدت رحلاته وكثرت خاصة اتجاه شمال افريقيا خلال الفترة الممتدة مابين (1893 -1951)

[4] ـ نادية محمود عبد الله ،الرحلة بين الواقع والخيال في أدب أندري جيد ، عالم الفكر ، مجلد 13، ع 4 ، يناير ،فبراير ، مارس 1983 ،ص118 .

➢ **الرحلة النثرية والرحلة الشعرية :**كنا قد أسلفنا الذكر بأنّ أدب الرحلة هو ذلك الفن النثري الذي يتخد الرحلة موضوعا له ،لكن لا يجب إغفال وجود رحلات شعرية كان لها صدى كذلك واقبالاعلى الدّراسة من قبل الدارسين والباحثين .

ولقد حاول أبو القاسم سعد الله الوقوف عند بعض من هذه الرحلات الشعرية (الجزائرية) سواء المكتوبة بلغة فصيحة أو مكتوبة باللّغة العاميّة .

1-الرحلات النثرية : يؤكد أبو القاسم سعد الله على أنّ " تكون الرحلات نثرية يتحدث فيها أصحابها عن مشاهداتهم ،وملاحظاتهم بلغة واقعية أو قريبة من الواقع "[1]. وهي تعتبر ـالرحلات النثرية ـ الأكثر شيوعا بالجزائر ،ولم تكن تتكلم عن المسائل العلمية ،والشيوخ ،وأهل العلم فحسب بل جمعت في طياتها العديد من المسائل والمواضيع .

ومن الرحلات النثرية التي ذاع صيتها رحلة أحمد بن عمار **"نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب "**،وهي في ثلاثة أقسام يقول :**"ورتبناها على مقدمة حاتمة ،وعرض مقصود ،وخاتمة ،فأمّا المقدمة ففي ذكر ما أنتجه العزم ،وتقدم على الإرتحال ،وأما الغرض المقصود ففي ما يحدثه السفر إلى الإياب ، وحطّ الرّحال ، وأمّا الخاتمة ففي ما نشأعن ذلك بعد السكون وانضم إليه "[2].**

كذا نذكر رحلة الأمير عبد القادر إلى الحجاز التي تضمنت سيرته الذاتية في كتابه **"مذكرات الأمير عبد القادر الجزائري "** الذي ذكر فيها بأنّه جال في عدّة بلدان هناك منها الشام وبغداد ،والاسكندرية .....كما تحدّث فيها عن زياراته للأولياء الصالحين والأضرحة ،والتقائه ومجالسته للعلماء .

2-الرحلات الشعرية :وهي رحلات قام أصحابها بتدوينها أو بنظمها شعرا ومن أمثلة الرحلات الشعرية رحلة محمد ابن المسايب التلمساني من تلمسان إلى مكة المكرمة إعراجا

[1] ـ أبو القاسم سعد الله ،آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر ،دار الغرب الإسلامي ط2 بيروت ص178 .
[2] ـ ابن عمار أحمد ، نبذة من الكتاب المسمى نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب ،مطبعة بير فونتانة ، الجزائر ،1902 ص3 .

على المدينة ، كذلك رحلة أو عثمان بن سعيد بن عبد الله المنداسي بالمغرب الأقصى بعد عودته من الحجاز ، تتضمن مدحا للرسول صلى الله عليه وسلم ،ووصفا للبقاع المقدسة وآثار الحجاز ومنازله .....

ومن الرحلات الشعرية كذلك والمكتوبة باللغة الفصيحة قصيدة محمد بن محمد منصور العامري التلمساني (ق18) وقصيدة أخرى تندرج ضمن الشعر الملحون هي لمحمد مسائب التلمساني .[1]

كما عرف الترلث الرحلي رحلات شعرية خالصة التقطت موضوع السفر والتعبير عنه شعرا ،فقد دوّن أحد الملاحين المعروف بماجد ّتجاربه البحرية في مصنّف ضخم سماه **"الأرجوزية الحجازية "** ووقد ضمّ أكثر من ألف بيت ،وصف فيها الملاحة على سواحل البحر في القرن التاسع هجري .

أمّا ابنه أحمد بن ماجد فقد صنّف ألفية أخرى ، ومجموعة من المنظومات غيرها ، دعاها ب**الأراجيز،**[2] وهناك أيضا قصيدة في وصف الحجّ مدونة باللّغة الإسبانية بحروف عربية لأحد الموريسكين عثر عليها مخطوطة بإسبانيا (أواخر القرن السادس عشر)وهي بعنوان : قصيدة الحاج القادم من بُويْ منشون .[3]

مميزات أدب الرحلة :

إنّ تعدّد أنواع الكتابة الرّحلية ،جعلها تشغل اهتمام العديد من الدّارسين ، وإن كان هذا الفن لا يزال يحتاج إلى دراسات من جوانب عدّة نتيجة لما حظي به من ميزات وخصائص فأهم ما يميّزه هو الشمول والتنوع ، فهي تشمل **" التاريخ ،والجخرافيا ، والدين والإجتماع ، والسياسة .كذلك فإنّها** ى والميل **تعنى بالوصف الدقيق ، والتصوير الأمين والنقل**

[1] ـ ينظر ،أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي (1500 - 1830)ج2 ،دار الغرب الإسلامي ط1 ، بيروت 1998، ص388 ،وما بعدها .

[2] ـ حسين نصار أدب الرحلة ، القاهرة ، مكتبة لبنان ،لونجمان ، ط1، 1991 ص101 - 102 .

[3] ـ شعيب حليفي ،الرحلة في الأدب العربي (التجنس ،آليات الكتابة ،خطاب المتخيل) ص129 .

الصادق ، بدافع تحري الدّقة تحريا علميّا موضوعيا ، وهي عندئذ تتجلى بالإبتعاد عن الهووالغرض الذاتي "[1].

أمّا التنوع فيتمثل فيما تزخر به من مواد ذاتية غنية ،فهي أحيانا علمية وأحيانا أخرى شعبية ، مرات تعكس الواقع فتكون واقعية ،ومرات أخرى أسطورية ميتافيزيقية ، تحوي المتعة إلى جانب الفائدة ....

[1] ـ سيد حامد نساج ،مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا ص9 .

المبحث الرابع : نشأة أدب الرحلة عند العرب .

أسهم العرب والمسلمون خلال رحلاتهم المتعدّدة في فتح بلدان قاصية من الهند والصين ،إلى المحيط الأطلسي وجبال البرانس ،ومن التركستان ،والقوقاز إلى السودان ومجاهل إفريقية .....وكان هذا عاملا بارزا في كثرة الرّحلات عند العرب قديما وحديثا ، وتنوّعها بتنوّع الأسباب والدواعي ، والطرق والإتجاهات ،[1] فقد اتخدت الرحلة بعد الإسلام طابعا آخر ،إذ **"صارت فنّا عربيا أصيلا في النثر العربي بسماته التاريخية ،والجغرافية ،واهتمامه بحياة الناس وتقاليدهم ،وأنماط عيشهم ، وبمضمونه الفكري والاجتماعي ،وأسلوبه الأدبي المتميّز "[2]**،الذي يمتزج في الواقع بالخيال ،دون أن ننسى الجانب الإثنوغرافي ،ليكون بذلك أدب الرحلة **"مصدر الوصف للثقافات الإنسانية ،ولرصد بعض جوانب حياة النّاس اليومية في مجتمع معيّن خلال فترة زمنية محدّدة "[3].**

وإذا تتبعنا مسار أدب الرحلة عند العرب فقد شرعوا في تأليف رحلاتهم **"منذ القرن الثالث الهجري الموافق للقرن التاسع الميلادي ، واصطبغت مؤلفاتهم بالصبغة الجغرافية ،والتاريخية "[4].**

حيث نسجل انطلاقة هذا الفن مع ابن يعقوب من خلال كتابة البلدان ،وهذا الذي نال عناية الكثير من الدارسين والباحثين **"لأمانته العلمية ،ودقته وابتعاده عن الغرائب والعجائب ،قام برحلات كثيرة امتدت شرقا إلى الهند ،وبلغت أقصاها غربا برحلته إلى بلاد المغارب والأندلس "[5].**

والجدير بالذكر أنّ معظم رحالة وجغرافي النصف الأوّل من القرن الثالث هجري من اللغويين ،وأبرزهم هو اللّغوي ،والمؤرخ المعروف هشام الكلبي (توفي حوالي 206 هـ)

---

[1] ـ سميرة أنساعد ،الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ص39 ،40 .

[2] ـ عمر بن قينة ،اتجاهات الرّحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة ،ديوان المطبوعات الجامعية ، دط الجزائر بن عكنون ،1995 ،ص 11 .

[3] ـ حسين محمد فهيم ،أدب الرحلات ، ص 15 .

[4] ـ سميرة انساعد ، المرجع السابق،ص40 .

[5] ـ فؤاد قنديل ،أدب الرحلة في التراث العربي ،ص117 .

الذي يعدّ نموذجا للرحالة الخبير بالجزيرة العربية ، خلال أواخر القرن الثاني الهجري ،وأوائل الثالث ، وقد صنّف عديدا من المؤلفات ،وأهمها : **"كتاب الأقاليم " ،"البلدان الكبير " ، " البلدان الصغير " ، وكتاب "أنساب البلدان " .**[1]

وإلى جانب هؤلاء ،شهد هذا القرن رحالين آخرين نذكر منهم : الأصمعي الذي توفي عام 216 هـ ، وجاء بعده تلميذه سعران ابن المبارك الذي وضع كتاب **"الأرضيين والمياه ، والجبال ،والبحار "** ، كما سار على الدرب نفسه عزام بن الأصبغ وهو رجل أمي أملى وهو في سن الشيخوخة كتاب " **أسماء جبال تهامة ومكانها "**،وبن موسى المنجم ، ونلتقي بعد ذلك بالتاجر سليمان الذي أبحر عدّة مرات إلى الهند والصين .[2]وهو يعدّ رائد أدب الرحلات البحرية ،ونصل بعد هؤلاء الرحالة الذين يمكن أن نطلق عليهم الرحالة الشفهيين إلى مجموعة من الرحالة ، الذين حرصوا على ما حصلوا من علم ، فأودعوه بطون الكتب ،وهم يمثلون معا البداية الحقيقية لعلم البلدان وفي مقدمتهم ابن خردادية ،والبلاذي ،وابن رستة وابن الفقيه ،واليعقوبي ،والجيهاني .[3]

أما إذا انتقلنا إلى القرن الرابع الهجري ، فإنّنا نسجل ثلاث رحلات بارزة ،أوّلها رحلة المسعودي ،والتي نقلها لنا في كتابه **"مروج الذهب ومعادن الجوهر "** فقد كان اهتمامه بالرحلة اهتماما بالغا ، كونه أدرك أهميتها ، الأمر الذي جعله يعدّد منافعها فيقول :**"ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نهى إليه من الأخبار عن اقليمه كمن قسّم عمره على قطع الأقطار ووزع أيامه بين تقادف الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنه واثارة كلّ نفيس من مكمنه .** [4]

وكتاب المسعودي هو حصيلة الرّحلات التي قام بها خلال سنين ، مسجلا كلّ ما شاهده وعاينه ؛ونظيره البيروني الذي يمثل هو الآخر رحّالة هذا العصر من خلال كتابه **"تحقيق**

---

[1] ـ فؤادقنديل ،أدب الرحلة في الثرات العربي المرجع السابق ص 70 .

[2] ـ المرجع نفسه، ص71 ـ 72 .

[3] ـ المرجع نفسه ،ص 72 .

[4] ـ المسعودي أبو الحسين علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج 1 ، تقديم محمد السويدي ، موفم للنشر ، دط ، الجزائر 1989 ص 7 .

ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مزدولة ".وابن فضلان الذي أوفده الواثق إلى بلاد البلغار ونهر الفولجا ...وتحفل رسالته التي دوّنها عن رحلته بمادة اثنوجرافية على درجة عالية من القيمة والطرافة والتنوع .....

أيضا ظهر أبو دلف (مسعر بن المهلهل) الرّحالة الشاعر الصعلوك الذي زار عديدا من البلاد ومن أهمها الصين ، وتمثل رحلة ابن سليم الأسواني أهمية جوهرية لأنّها تعدّ أوّل رحلة إلى بلاد النوبة .[1]ومن الرحلات التي شهدها هذا القرن أيضا نذكر رحلة أبو زيد البلخي ، رحلات للأصطخري ، وقدامة ابن جعفر ،وابن حوقل والمقدسي وغيرهم ..

أما عن رحالة القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) يتراآ لنا الرحلات التي قام بها الطبيب البغدادي ابن بطلان عام(404 هـ)إلى الشام ومصر وانطاكية ،والقسطنطينية [2].

ويطلّ علينا أبو الريحان محمد البيروني(ت 404 هـ) وكتابه **"تحقيق ما للهند من مقولة "**

حيث قام برحلات إلى الهند ، وهذا الكتاب لايمكن اعتباره كتابا جغرافيا بحتا وإنّما يتضمن كذلك آراء في الدين والفلسفة والتاريخ ،[3] فأدب الرحلة بدأ يتسم بالاستقلالية عن التاريخ والجغرافيا ،وبرز كفن أدبي له طابعه الخاص .

ونشهد في منتصف هذا القرن افتتاح صفحة جديدة لمسيرة هذا الأدب حيث يحتل هذه الصفحة رحّالة من المغرب الإسلامي بعد أن كان مقتصرا على المشارقة ،ومنهم : أحمد بن عمر العذري الذي ارتحل إلى الشرق وعاش في مكة تسعة أعوام ، يقول محمد مسعود جبران : **" إنّ الاهتمام بتدوين الرّحلات من أبرز مميزات الأدب المغربي على الإطلاق ، حتى إنّنا يمكن أن نقول إنّ أهم ما شارك به المغرب في بناء صرح الثقافة العربية العامة**

[1] ـ فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي ،المرجع السابق ،ص 73 .
[2] ـ المرجع نفسه ص 74
[3] ـ المرجع نفسه ص 74 .

هو مع الأبحاث الفقهية فن الرّحالة "[1] **أي** أنّ المغاربة كانوا مهتمين بهذا الفن التعبيري منذ القدم ولو تأخّروا من حيث التدوين ، وممّا تركه لنا العذري كتابه **"نظام المرجان في المسالك والممالك "** ، إلى أن نصل إلى أكبر رحالة الأندلس في هذا القرن أبو عبيد عبد الله البكري (ت 487 هـ) وله كتابان هما :**"المسالك والممالك " "ومعجم ما استعجم من أسماء الأماكن والبقاع "** الذي يعتبر أوّل معجم جغرافي يتناول أسماء ،ومواضع عدد كبير من المدن والبلاد الإسلامية ،وما يخصّها من الأخبار والأشعار [2] .

أمّا عن القرن السادس الهجري (الثاني عشر ميلادي) فيكاد يكون منافسا للقرن الرابع الهجري من حيث كثرة التأليف وحجم الإنجاز في هذا الفن .

فمن رحالة هذا القرن نذكر ، أبو حامد الغرناطي الأندلسي الذي صنّف كتابين هما :**"تحفة الألباب ونخبة الأعجاب "**، و**"المغرب عن بعض عجائب المغرب "** ونظيره الشريف الإدريسي(ت 570 هـ) صاحب كتاب **" نزهة المشتاق في اختراق الآفاق "** .

ورائد هذا القرن والذي يعدّ أوّل من استخدم لفظة رحلة في مؤلفه ،هو الرحالة الأندلسي العالم الفقيه أبو بكر العربي(ت 543 هـ) ومؤلفه **ترتيب الرحلة** ،ويعتبر بهذا أوّل من وضع أساس أدب الرحلات بالصورة الفنية المأمولة [3]، وقد مهّد هذا الآخير لظهور لأديب رحالة معروف هو ابن جبير(ت 614 هـ) ، الذي اكتملت على يديه ملامح أساسية لأدب الرّحلة العربي [4]، ويمكن القول بأن كتب الرحلات تبدأ من هذا العهد برحلة ابن جبير الموسومة ب **" تذكار الأخبار واتفاقات الأسفار "** الذي حرص من خلاله على ضمّ جوانب سياسية وحربية ،واجتماعية ،واقتصادية ،وعقائدية للبلد المزار ـ **الشّام** ـ وتجنب ذكر الغرائب والعجائب ، حيث يرى بعض الدارسين أنّ كتابه أحسن ما ألف في فن الرحلات

---

[1] ـ جبران محمد مسعود ، فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب ، المجلد 2 ، دار المدار الثقافية ط1 2009 ص9 .

[2] ـ ينظر ،فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ص 74 -75 .

[3] ـ المرجع نفسه، ص 75 .

[4] ـ المرجع نفسه، ص75 .

وهو يمثل ذروة هذا الفن عند العرب ، ونصل مع ختام هذا القرن إلى رحالة معاصر لابن الجبير هو **علي الهروي** وقد خلّف لنا كتابه الشائق **"الإشارات في معرفة الزيارات "** [1].

أمّا عن القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي) فإنّنا نعثر على مصنفات ومؤلفات لاتقل أهمية عن سابقاتها ، ولعلّ أهم انجازات رحالة هذا القرن هو صدور كتاب **(معجم البلدان) لياقوت حموي (ت 626 هـ)** الذي يعدّ مرجعا هاما لكلّ باحث ذلك أنّه يمثل دليلا لمعرفة مختلف الأقطار والأمصار ، جمع بين مجلداته الضخمة قيمة وقدرا كبيرا من الثراء عن مدن وقرى العالم الإسلامي ، ومن الرحالة في هذا العصر نذكر ابن سعيد المغربي وكتابه **"النفحة المسكية في الرحلة المكية "**، ونذكر يوسف ابن يعقوب الدمشقي (ابن المجاور) وكتابه **"تاريخ المستبصر "** وفي المغرب نذكر الرحالة الأندلسي ابن سعيد (ت673 هـ) وكتابه" المغرب في حلى المغرب "و"المشرق في حلى المشرق "، ولا ننسى الأديب الفقيه محمد العبدرى صاحب الرحلة المغربية ...[2]

عرف أدب الرحلة أكبر وأوج تألقه في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) بمستواه الأدبي الراقي واتساع مجاله الجغرافي ، حيث أثمر هذا القرن الرحالة العالمي صاحب **"تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "** ألا وهو الرّحالة الأشهر ابن بطوطة أبو عبد الله اللواتي الطنجي ، الذي انتقـــــــــــــلت الرحلة معه إلى مستوى عالمي أوسع وأشمل "لم يتضمن كتابه الضخم إلاّ ما رأى وما سمـــــــــــــع وعاين ،وليس فيه ما نقل عن غيره إلاّ صفحات قليلة أضافها كاتبه ابن جزى ،ونجـــــم هذا الرّحالة أضاء وغلب على باقي معاصـــــــــريه ممّن ارتحلوا ونذكر منهم شمس الدّين الدمشقي وكتابه نخبة الدهر في عجائب البّـــــر والبحر ، أبو الفدا وكتابه **"مختصر تاريخ البشر "** وكتابه الآخر "تقويم البلدان "، ومن الرحلات البارزة كذلك نذكـــــــــــر رحلة البلـــــــوى المعروفة باسم **"تاج المفرق في تحلية علماء المشرق "**وآخلا الرّحلات المهمة هي دون شك رحلة العالم السياسي والمؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون (ت 808 هـ)

[1] ـ المرجع نفسه ،ص 76 .
[2] ـ فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ص 76 ـ 77 .

المسماة ب **"التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا "**[1]،التي تعتبر أنموذجا مثاليا لنمط السيرة الذاتية أو الترجمة الذاتية ، حيث كان تركيزه الأكبر على استعراض سيرة حياته .

وخاتمة عصور الرحـــــــلات ـالقرن التاسع ـ شهد رحلات على غرار رحلة عبد الباسط بن خليل الظاهري المصري ، رحلة الحسن بن الوزان ،رحلة أحمد المقرى ...

فيما تقلصت الرحلات نسبيا خلال القرنين التاســـــــــــع والعاشر الهجريين (الخامس عشر و السادس عشر الميلادي) بسبب ازدياد وطأة الحروب ،والهجمات اللأروبية على العالم العربي ، المغاربي خاصة ،لتتوقف خلال القرنيـــــــــن الحادي عشر والثاني عشر الهجـــــــــــريين ،والسابع عشر ،والثامن عشر الميلاديين فلا نكاد نذكر إلاّ رحلتي النابلسي والطرابلسي والعياشي الذي اشتهر برحلته الضخـــــــــمة **"مـــــــــاء الموائد ".**[2]

وسرعـــــــان ما بدأ أدب الرحلة في الانتـــعاش من جديد مع بداية القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) حيث اتخدت الرّحلة وجهة مميزة نحو أوروبا وكان في مقدمة الرحالين غربا رفاعة رافع الطهطاوي **"تلخيص الإبريز ".**

ويواصـل هذا الفن مسار تطوّره في القرن الرابع عشر الهجري (العشرون ميلادي) الذي بدأت الرحلة معه مرحلة تاريخية جديدة قوامـها الاستفادة من المعلومات المتراكمة عبر العصور ومن التكنولوجيا الحديثة ،فازدادت المعرفة بالعالم ،والإنسان ،ويمكننا أن نقول عن الأسفار اليوم **"إنّها تكوّن الأمـــــــــم ، وتسنى لها عن طريق تنقل الأشخاص والإحتكاك المباشر بينهم إلى حدّ الإمتـــــــــزاج ظروفا جدّ سائحة لتقوية التعارف والوصال والوئام "** ،وأعطت نتـاجا أدبيا غنيا بانطباعات الرحالة حول ما سمعوه وما شهدوه من مناظر البلدان التي زاروها ووقفوا على عاداتها وتقاليـدها ، وأكثر من ذلك فقد

[1] ـ المرجع نفسه، ص 79 ـ 80 .
[2] ـ فؤلد قنديل ، أدب الرحلة في الثراث العربي ،المرجع سابق، ص 81 .

صارت أخبار الأسفار في العهد الرومانسي جنسا أدبيا يترجـــم بصدق بحث الرومانسيين في الشـــرق خاصة عمّا يلهم خيالهم ويخصب قرائحهم ويجدد مصادر أدبهم .[1]

فمسيرة هذا الفن طويلة عرف خلالها فترات نضج وكمال كما شهدناه في القرن الرابع الهجري ، وفترات فتور وخمول كما هو الحال في القرنين التاسع والعاشر وحتى القرنين الحادي عشر ،والثاني عشر ،كما عرف التحاق ركب المغاربة به وكان ذلك في القرن الخامس الهجري ، "فهذه الطوارئ وغيرها لم تمنع الباحثين من الكتب على دراسته بل ،والكتابة فيه ،بالرغم من أنّه وبعد الثورة الصناعية ،والتطور التكنولوجي صوّبت الرحلات نحو جهة واحدة هي الغرب "فلم يعد طالبوا العلم يشدون الرحال إلى بغداد ودمشق ،والقاهرة كما كان في العهد الماضي ، وإنّما أصبحوا جميعا ينطلقون إلى باريس ،ولندن ،وغيرهما" ..... [2] .

[1] ـ حسن جبار ، صورة الشرق العربي والإسلامي عند محمد أسد في رحلته " الطريق إلى مكة " رسالة ماجستير في اللغة العربية والأدب العربي ص04

[2] حسن جبار ، صورة الشرق العربي والإسلامي عند محمد أسد في رحلته " الطريق إلى مكة " رسالة [2] ماجستير في اللغة العربية والأدب العربي المرجع سابق ،ص05

المبحث الأوّل :تعريف أدب الرّحلة

تعريف الرحلة سيكون صعبا،كتعريف أي جنس أدبي آخر على غرار الشعر والرواية وهذا لتعدّد مضامينها وأساليبها ،لأنّه وكما أسلفنا سابقا تداخلها مع خطابات أخـرى متعدّدة :الجغرافيا، والتصوف ،والأدب، والسيرة الذاتية، والتّراجم والحكـايـات ،والرسائل والشعر.....وهذا كله يقودنا إلى **"صعوبة القبض على تعريف يجمع في حدّه زخم الخصوصيات والتنويعات في النّصوص الرّحلية العربية ".**[1]

ففي معجم مصطلحات الأدب لمجدي وهبة ،لا نلاحظ أيّ تعريف للرحلة،فقد اكـتفى صاحبه بإشارة مقتضبة للرحلة الخيالية .[2]

بالمقابل نجد جبور عبد النّور في المعجم الأدبي يتحدث عن الرحلة دونما ايجاد تعريف خاص لها ،بل اكتفى بكلام عام يقول :**"تمثل الرحلة في الأدب العربي منزلة رفـيعة ،وأصبحـت من الفنون الشائعة في معظم بلدان العالم ".** [3] ثمّ يشير إلى أنّ الإثارة التي تتميّز بها الرحلة متأتية من الوصف الطريف للواقع ،والسرد الفني للمغامرة الإنسانيـة والعواطف المحركة للبشر ،ونابعة أيضا من أنواع الشخصيات التي تبرزها لـلقـارئ .[4]

من خلال قوله هذا نلاحظ أنّه لم يقدّم تعريفاً واضحاً للرحلة ،وإنّما هو ذكرٌ لمكانتها وذكرٌ لسماتها .

في الوقت الذي ذكر فيه سعيد علوش المجال الذي تنتمي إليه الرحلة ،وذكر أعلامها وميادينها يقول :**"أدب الرحلة هو أدب يدخل في درس الصورولوجية أي دراسة صورة شعب عند شعب آخر ،ومن روّاد أدب الرحلات في هذا الإطار ج.م .كاري ،الطهطاوي ، أنور لوقا ....."**[5]

على النهج ذاته ، فاكتفـت Encyclopedie universlis وقد سارت الموسوعة العالمية بالإشارة إلى أنّ الخصيصة الأساسية للرحلة هي التنوع ذو المظاهر المختلفـة ،وأنّ الرحلة تدخل ضمن السيرة الذاتية لأنّ المؤلف ،والراوي، والرحالة هم شخص واحـد .

[1] ـ شعيب حليفي ،الرحلة في الأدب العربي ،مرجع سابق ص 165
[2] ـ مجدي وهبة ،معجم مصطلحات الأدب ،مكتبة لبنان ،بيروت ،1974 ـ
[3] ـ حبور عبد النور ، المعجم الأدبي دار العلم للملايين ،بيروت ،الطبعة الثانية1984 ص 121
[4] ـ المعجم نفسه ص122
[5] ـ سعيدعلوش ،معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ،المكتبة الجامعية ،الدار البيضاء 1984ص57

أمّا في قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية عربي ـ إنجليزي ـ فرنسي ،فنجد تعريـــفا يقول :"**أدب الرّحلات هو نوع أدبي يقوم على وصف الأديب لما شاهده في رحلاته من عمران ،وأحداث وأشخاص وعادات وتقاليد وغيرها** "[1] أما الشبكة الدّولية للمعلومات فإنّها تورد تعريفا مفاده أنّ الرحلة هو النص الذي يحكي فيه المؤلف ما شاهده Internet في بلد آخر [2] وهو تعريف فضفاض يمكن أن يدخل فيه ماليس من جنس الرّحلة كالتحقيق الصـــحـفيReportage.

أمّا أنجيل بطرس يقول :**"أدب الرحلات إذن هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية ،وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلدان العالم ، ويدوّن وصفا له ،يسجل فيه مشاهداته وإنطبعاته بدرجة من الدّقة ،والصّدق وجمال الأسلوب ،والقدرة على التغيير** ."[3]

من التعاريف السابقة الذكر نستنتج أنّها تجمع كلها على تعريف ينحو منحى واحدا ، وهو« أنّ أدب الرحلة خطاب أنتجه الرحالة يجمع فيه ما شاهده وعاشه ولمسه في رحلته بأسلوب أدبي مع دقة الوصف والصدق في النقل وزاد على ذلك انجيل بطرس شرطا وهو أن يكون الرحالة قد سافر وانتقل وارتحل حقا ،أي الرحلة واقعية ....من بلد إلى آخر ،وغايته من هذا الحكي إفادة القارئ وامتاعه " .[4]

لم يظهر هذا الفنّ أوّلا تحت مسمى أدب الرحلات وإنّما كان يظهر أحيانا تحت خانة كتب التاريخ أو الجغرافيا أو السيرة الذاتية ،أو كتب الإعتراف ، أو أدب الإعتراف ، وهكذا فإنّ هذه التسمية ـ أدب الرحلات ـ تسمية وليدة هذا العصر وماشهده من دراسات ومصطلحات وتقسيمات لفنون وألوان المعرفة الفنية الأدبية.

---

[1]ـ ايميل يعقوب وبسام بركة ومي شيخاني قاموس المصطلحات اللّغوية والأدبية (عربي ـانجليزي ـ دار العلم للملايين ،بيروت ،الطبعة الأولى 1997ـ ص 25

[2]Recit de voyage ,Relation ,Reportage :www .cafe.umontreal.ca/genres/n_ voiyage_html

[3]ـ انجيل بطرس ،الرحلات في الأدب الإنجليزي ،مجلة الهلال ،العدد7 ،السنة 83يوليو 1975ص52

[4] ـ محمد حاتمي ،في الخطاب الرّحلي ، مرجع سابق

ولعلّ أنسب التعاريف هو مايلي:**"هو نوع من الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها إلى إحدى البلدان أو يملي أو يحدث مشاهداته ومشاعره اتجاه ما سمع ورأى ويسطر ذلك شخص آخر "**[1]

فيما عرّف معجم المصطلحات الأدبية أدب الرحلة بأنّه **"مجموعة الآثار التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاتهفي بلاد مختلفة ، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها ، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة ،أو يجمع بين كلّ هذا في آن واحد "**[2]

وما يمكن اضافته على هذا التعريف الذي أدرجه هذا المعجم لأدب الرّحلة نقول ـ ليكون شاملا مانعا هو وصف الرّحالة أحوال البلدان في مختلف مجالات الحياة من سياسة واقتصاد وعلم وعلماء ،وديانات .....

وقد اشترط انجيل بطرس من خلال تحديد مفهوم أدب الرحلة أن يتحقق في وصف الرّحالة وتسجيله لمشاهدته وانطباعاته :*الواقعية ،الدّقة ،والصدق وجمال الأسلوب*[3]

فيقول ذاك الأخير :**"وهناك صفتان عامتان لابدمن توافرهما في أدب الرحلات وهما :<u>أوّلا</u> أن يكون من يكتب عن الرحلات رحالا بطبعه محبّا للرحلات ،<u>ثانيا</u> :أن يكتب بالأسلوب الذي يجعل وصفه للرحلة يعكس روح الرحلة والرغبة الشديدة التي تتملكه للقيام بها "**[4]

ولعلّ خير أمثلة أدب الرحلات هو ما يكشف عن شخصية الرحال ،يقدر ما يقدم بنجاح وصف البلاد التي ينتقل بينها ،والنّاس الذي يتلقى بهم .

فإذا كان الوسط الذهبي هذا ،ففي أحد طرفيه توجد الأمثلة التي تقع فيها شخصية الرحال في مركز الانتباه ، وفي الطرف الآخر تقع الرحلة الجافة التي لا تحمل أثرا لشخصية

[1] ـ محمد رضي القاسمي ، الرحلة وأدبها في اللّغة العربية دراسة تاريخية ، مجلة الداعي الشهرية ، الصادرة عن دار العلوم ديونيد جمادى الثانية /رجب 1434، أبريل/ يوليو 2013 العدد 6ـ 7السنة 37

[2] ـ سميرة انساعد،الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ،دراسة في النشأة والتطور والبنية ، دار الهدى ـ الجزائر ـ ط 2009ص 31ينظر مجدي وهبة معجم المصطلحات الأدبية ص577

[3] ـ سميرة أنساعد ،الرحلة الي المشرق في الأدب الجزائري ،المرجع السابق ،ص32

[4] ـ المرجع نفسه ص32

صاحبها ،وتفقد الشخصية المميزة، بعد أن تصبح مجموعة من الحقائق العارية من السمة الإنسانية التي تميّز العمل الأدبي .[1]

لذا كان لزاما عند انجيل بطرس على الرحالة أن يتحرى الدّقة في الوصف، لكنّ هذا الشرط كان يسقط في كثير من الرحلات عند كثير من الرحالة .

ومن خلال هذه التعريفات المتعدّدة الجوانب والواردة في مقدمات الكتب ،أو في المقالات يمكننا القول أنّ أدب الرحلة **فن نثري يقوم على رحلة قام بها شحص في الواقع فينقل للقارئ مشاهداته وانطباعاته التي تركتها الرحلة ، أو بعبارة أخرى :**

- يقوم أدب الرّحلة بين الرحال واقعية في زمان ومكان محدّدين .
- يقوم بها رحالة قد تمكن حب الرحلة منه ،فيصف من خلالها انطباعاته ومشاهداته .
- يمزج في وصفه بين شخص الرحالة من ناحية والرحلة كموضوع من ناحية أخرى
- يستخدم النثر المعبر عن ذات الرحال ،والحامل لخصائصه دون تكلف أو إسراف مع المحافظة على بنية تكفل تماسك العمل ووحدته ،وبعبارة أخرى أن يكون ذا معـــالم واضحة تحقق الترابط بين أجزاء العمل من لدن البداية ،وحتى النهاية.

- إنّه فن قائم بذاته ،له أصوله وقواعده الفضفاضة ،الهدف منه التأثير في الـــــقارئ والتواصل معه ،حيث يستمع بكل ما فيه ،وتزداد ثقافته ومعارفه بطريق غير مباشـــــر ، أو محسوس[2]. بل إنّه يجعل القارئ يقوم برحلة ممتعة دون حركة أو إنتقال .

إذن فأساس فن الرحلة يتجلى في :

- *الرحالة* :وهو الشخص الذي قام بالرحلة .
- *الوصف* :وذلك بوصف الرحالة كلّ ما وقع عليه نظره وشدّ انتباهه حول ذلك البلد ،ويعد الوصف أساس الرّحلة كما سبق وأن ذكرنا .

وبالإجمال ،فإنّ أدب الرحلة فن من الفنون النثر العربي يمتازب :"تشكيل لنصّ ذاتي /شخصي بخصوص الأنا والآخر .....يتبين متكفيا في شكل معين للتعبير عن رؤية معينة

[1] - انجيل بطرس ،الرحلات في الأدب الإنجليزي ،مرجع سابق ص 7

[2] - ناصر عبد الرازق الموافي ،الرحلة في الأدب العربي ،مرجع سابق ص40-41

انطلاقا من خطاب مفصح عنه في البداية ،أو مضمر في تضاعيف السرد ،والوصف ، والتعليقات "[1]

و يمكن اعتبار القرن التاسع ميلادي – حسب ما هو متوفر الآن- بداية التأريخ للرّحلات العربية المكتوبة مع اتساع دائرة التآليف في التّصنيف و في الرسائل المتّصلة بالمسالك والممالك و غير ذلك ،فتّعددت الكتابات الرّحلية في مجالات ارتبطت بتخصصات مؤلفيها ...من ثمّ فانّ الرّحلة عموماً هي من الأشكال التعبيرية التّي استعملت فيها الكتابة بضمير الأنا دون تحّرج[2] ، حيث أنّنا نعلم أنّه و في زمن مضى كان الكاتب أو الرّوائي أو المبدع أو الشاعر و غيرهم يتّعمدون ادراج شخصيات حقيقية أو حتى شخصية هو تحت مسّميّات غير حقيقية وهمية بل و ذهب بعضهم الى امضاء عمله بغير اسمه خوفاً – يمكن- من ردّات الفعل أو من الواقع المعاش ..فجاءت الرّحلة معبّرة عن ذاته و طارحة بشكل مستمر لصورة الآخر فهو بتعبيره ووصفه للبلد المزار ينقل لنا صورة هذا الآخير من عادّات وتقاليد و طقوس و عبادة و مشاعر و مناخ و سياسة و مستوى الشعب العلمي و الثقافي والاجتماعي و غيرهما من مميّزات البلد المزار.

و الرّحلات العربية قبل القرن 18 تهتم في العموم بالتّوجه نحو الأراضي المقدّسة والأماكن الزّيارية ، فيما باقي النصوص السفارية أو السياحيّة التي زارت أراض غير عربية شكلت صوراً حاضرة للآخر الأجنبي..يشترط فيها تودوروف أربع مراحل كبرى في تلاقي الأوروبيين بساكنة العالم الجديد ، الاكتشاف، الغزو،الحب ثمّ التواصل، أمّا الآخر في الرّحلات العربية فالمراحل متداخلة باستمرار بين الاعتزاز بالذّات و الحذر والنّظرة العجائبية[3] .

وهي مكونات ستتّخذ صوراً أخرى في الرّحلات التّي سادت خلال القرنيين الثامن عشر والتاسع العشر، وفي كلّ مرحلة يتّحكم المرجع الذّاتي بكلّ مستوياته الثقافيّة والدّينية والسيّاسية.

[1] ـ شعيب حليفي ،الرحلة في الأدب العربي (التجنيس ،اليات الكتابة، خطاب المتخيل)ص45
[2] الرّحلة في الأدب العربي, المرجع نفسه, ص 06.
[3] شعيب حليفي ،الرّحلة في الأدب العربي , مرجع سابق, ص 07-08.

رحلة في عالم خاص ، ثمّ تلتها الرّحلات الاغريقية المسّجلة بعنوان "الأوديس"تلك الرّحلة التّي بدأت بعد سقوط طروادة و التّي دامت عشر سنين قضاها بطل الأوديسية مابين البحار و المحيطات و الجزر ، هذه الرّحلة " انبنت عليها التصورات الغربية للانسان ونشاطاته البشرية ، فلا نستغرب أن تكون الرّحلات من المصادر الأولى للانسان في سرودة الواقعية و الخيالية ، و منها انبثقت الفنون الأخرى بنسب متفاوتة قرباً و بعداً"[1]

و يمكن القول: أنّ الصور الأولى للارتحال هي : "المصدر لسائر الصّور الذّهنية البشريّة وأنّها موجودة في ثنايا معظم الأساطير"[2].

ولم تتوقف الرّحلة منذ أقدم العصور، و بعضهم كان يدّون رحلته و يسّجلها قصة باقية عبر العصور.

و من أسباب نشأة أدب الرّحلة و تدوين الرّحلات :

-أن يطلب الحاكم من الرّحالة تدوين الرّحلة.

-أن يطلب الأصدقاء ذلك.

-و قد تكون رغبة الرّحالة أنفسهم في افادة القراء و تثقيفهم بالجديد و تعريفهم بتاريخ البلدان و حضارتهم و شعوبها ، و أبرز معالمها و عجائبها و عاداتها و تقاليدها.

- و من الأسباب أيضاً أن يهتدي المسافرون بهذه الرّحلة دليلاً لهم.

-و كذلك ابراز مناسك الحجّ و العمرة ، و اعانة المسلمين على معرفة الدّيار المقدّسة وكيفية الوصول اليها و التّجول فيها.[3]

-سرد أخبار الأمم و الأقوام –ماضيها و حاضرها-من عادّات و تقاليد و طقوس.

رغبة المشاركة في أدب الرّحلات عن الرّحالة و تدوين أخبار رحلته عن البلدان المقصودة في الزيارة من أمثال : المسعودي وابن بطوطة ...الدعوة الى تغيير الجّو والاحتكاك بالآخر و الانفتاح عليه[4] .

[1] اسماعيل زردومي، فنّ الرّحلة في الأدب المغربي القديم , مرجع سابق , ص 03

[2] اسماعيل زردومي ،فن الرحلة في الادب المغربي القديم , ينظر أغناطيوس يوليانوفيتش كراتشكوفسكي , تاريخ الأدب الجغرافي العربي.

[3] محمد رضي القاسمي ،الرّحلة و أدبها في اللّغة العربية دراسة تاريخية , مرجع سابق

[4] سميرة أنساعد ،الرحلة الى المشرق في الأدب الجزائري –مرجع سابق-,ص 35-36.

و تختم الدكتورة أنساعد دواعي تدوين الرّحلات بالداعي التالي و هو –تقول-"بسبب وهو رغبة الرّحالة في نيل الثواب من الله تعالى ، بتحقيق الدوافع السابقة و حصوله على البركة و الخير بذكر الأماكن المقدسة من الحجاز الشريف و أهله الأبرار وكلّ ما يتعلق بالدّين الاسلامي ، في حين تدوين رحلة حجازية[1] .

وهذا دافع سبق و أن ذكرناه في تعدادنا للدّوافع التّي دوّنت من أجلها الرّحلات كما يمكن أن تكون هنالك رغبة في احداث التغيير في وطنه –اذا كان يعاني من الجمود الفكري- و ذلك عن طريق محاولة نقل مظاهر النهضة و التطور من ذلك البلد الذّي زاره – شرط أن تكون ملائمة و موافقة لمبادئ وطنه-.

[1] سميرة أنساعد ،الرحلة الئ المشرق في الأدب الجزائري ,مرجع سابق,, ص 36.

المبحث الثاني :قيمة أدب الرحلة وأهميته

تكتسي كتب الرحلات أهمية كبيرة في رصد الحياة الثقافية والإجتماعية للشعوب وتصوير حضارتهم وطرق عيشهم ،حيث زخر فن الرحلة بمؤلفات عدّة منذ القرن الثالث للهجرة إلى يومنا هذا ، ولعلّ ما يميز هذه المؤلفات هو ذلك التباين الموجود بينها على مرّ العصور .

لذا كانت للرحلات قيمة **تعليمية علمية** من حيث أنّها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان ، وإثراء فكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين [1] ،إلى جانب الأهمية الأخرى وتتجلى في تلك المعلومات التي تقدمها في مختلف الإختصاصات التّاريخية والجغرافية والإجتماعية ،والإقتصادية التي تتجلى لنا من خلال مصنفات الرّحّالين العرب الأوائل ،فتنضم بذلك إلى الثّراث العربي الجغرافي والتاريخي بما ساهمت به من مادّة غزيرة وقيمة ،كانت نتاج نظر ومعاينة واستقصاء وقراءة من قبل العلماء الرحالّين أمثال :**عبد الله محمد المقدسي (ت309هـ)،محمد الإدريسي (ت 562هـ)،وأبي الحسن المسعودي .....**[2]

ليكون أدب الرّحلة بمثابة مدوّنة يلجأ إليها الكثير من الدّارسين لإستخلاص العديد من المعارف بكلّ إطمئنان وأريحية ،ففي مجال **التّاريخ** مثلا تقدّم الرّحلات معلومات لم يقدّمها لنا العلم المختص في هذا المجال ،فهي تنقل ذلك الإختصاص بواقعية وبكيفيّة حيّة ، فإذا كان التّاريخ يعمل على وصف واستقصاء حياة البلدان وتاريخها بمختلف مظاهرها (السّياسيّة ،الإجتماعيّة ،الإقتصاديّة والثّقافية)فإنّ الرّحلات "أعطت كلّ ذلك بعده المناسب وتطرّقت إلى تحليل جوانب لم تتطرق إلى تحليلها الوثائق التّاريخيّة ، فقامت الرّحلات بوضع كلّ ذلك في دائرة الإشعاع التّي توجّه إلينا لإستجلاء الواقع وإخراج التّاريخ عن حدوده الضّيّقة ".[3]

ويترجع محمد الخضر حسين الفضل لكتب الرّحلة **"في أنّها حفظت لنا جانبا عظيما من التاّريخ إذ أودعت تلك الكتب الكثير ممّا شاهده مؤلّفوها ، من أحوال الدّول ،**

[1]ـ حسين محمد فهيم ،أدب الرحلات ص19

[2]ـ سميرة انساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ص .37

[3]ـ نوال عبد الرحمن الشوابكة ،أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ،دار المؤمون للنشر والتوزيع ط1 ،عمان2008 ص21

ووقائعها ، كما أنّها ساهمت في توطيد الصّلات بين الشّعوب ، وحصول التّعارف بينها"[1]

والأمر نفسه بالنّسبة **للجانب الجغرافيّ** ،فإذا كان الرّحالة "يدوّن مشهاداته الجغرافيّة على سطح الأرض ، إنّما يعمل في خدمة علم الجغرافيا ، فهو عندما يصف الممالك والبلدان والأصقاع والأقاليم والمدن والمسالك ، وعندما يتحدّث عن الطّبيعة والمناخ وظاهرات توزيع السّكان وغير ذلك ممّا يعدّ من صميم الدّراسات الجغرافيّة، إنّما يعتبر من هذه النّاحية مرجعا أساسيّا بالنّسبة لمن يتناول هذه الموضوات بالدّراسة

....ذلك أنّ الرّحلات سجّل حقيقيّ لمختلف مظاهر الحياة في مجتمع بعينه ، ومرحلة تاريخيّة محدّدة .[2]

وإذا أمعنا النّظر في مؤلّفات أدب الرّحلة العربي نجد القيمة العلميّة تتجلّى بشكل واضح ، كما هو الحال في رحلات **المقدسي، والبيروني** ....."إذ لم يكن هدفهم الرّئيس الرّحلة في حدّ ذاتها قدر اهتمامهم بوضع المؤلّف في تقويم البلدان، كما فعل المقدسي مثلا ، أو وصف حضارة غير إسلاميّة كما جاء في دراسة البيروني للثّقافة الهنديّة ، إنّنا نرى في هذه الأعمال ، وما قدّمت من مادّة ثريّة ، دليلا بارزا على قيمة رحلاتِهم في تزويدهم مُباشرة بالمعلومات المستمدّة من الملاحظة المباشرة، والمعاينة الشّخصيّة عن الأحوال السّياسيَّة والإجتماعيّة والثّقافيّة لِلبلُدان التِّي زاروها أو أقامُوا فِيها "[3] .

مَيَّزَت هذه القِيمة العلميّة أدب الرّحلة، ذلك أنّ أصحابَها شُهود عيان لمختلف الأحوالِ والأوضاع ،حيث ازداد الإهتِمام بِهذا الفنِّ ما أدّى إلى ازدهاره.

فالرّحالة يتَحرّون استِعمال الأسلوب العلمي في تدوين رحلاتِهم وبذلك فهو يعكس لنا ما **"وصلوا إليه مِن علم غزير وسعة فهم مع حرصهم على تدوين**

[1]- سميرة أنساعد الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ص38

[2] - سيد حامد النساج ، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا ، مكتبة غريب ،د.ط ،القاهرة ، د.ت ،ص8

[3]- حسين محمد فهيم ،أدب الرحلات ص16.

مُلاحظاتِهم أوّلا بأوّل ، ومن لم يتسنّ له ذلك قام بتدوين رحلتِه عقْب عودتِه إلى بِلاده والتزامه جانِب الدِّقة وقوّة المُلاحظة في كلّ صغيرة وكبيـــرَة "[1] .

والرّحالَة المُجتهد ، لا ينزل بوطن إلاّ **"التقى بطائفة من فضلائه ، والشّأن أنْ يَصف لهم بعض النّواحي من حياة قومه العلميّة والإجتماعيّة ، ثمّ إذا عاد إلى وطنه وصف لهم حال الأوطان التّي نزل بِها ، فيكون كلّ من الشّعوب التّي رحل منها أو نزل بها على خبرة من حال الشّعوب الأخرى "[2]** ،ثمّ إنّ الرّحالة وهو يُقدم هذه المعارف المتعدّدة المناحي فإنّه يقدّم في الوقت نفسه جانبا من سيرتِه الذّاتيّة من خلال سرد كل ما يتعلق به في رحلتِه ، لأنَّ الرّحالة وهو يسرد لنا رحلته ـ من خلال تنقلاته ومُشاهداته ـ في ترتيب زمني دقيق ، هو في الحقيقة يُقدّم لنا جانبا من حياته ، فتكون بذلك الذّات عنصرا حاضرا في الـــــرّحلة بصورة ثانويَّة أو صورة محوريّة فالرِّحلة تطلعنا على **"سيرّة أصحابها وعلى حقِيقتهم ،وتكشِف مواهبهم ودوافعهم للقيام بتلك الرّحلات ،والأثر الّذي خلّفوه للأجيال "[3] .**

ووجود هذا العُنْصُرِ في أدب الرّحلة قَرّبَه من الشّكْل الفَنّي ، كما لا نُغْفِل في هذا الصدد ذِكر الفوائِد التّي تعود على الرّحالة المُؤلِّف ذاتِه من :**"اكتساب للتّجربة ،والدَّرْبة في مجال التّأْليف والتّنويع الأسلُوبي ،وفي مَجال التّعبير الأدبي ، وكذلك تنويع للثّقافة الشّخصيّة وعدم التّركيز على مجـــــال واحد، أو إختصاص ، إذ تجرّه الكثير من المناسبات ، خلال تأليف الرّحلة إلى الخوض في مسائلَ مُختلفة ،علميّة وأدبيّة شتىّ ، تدفعه إلى البحث ، والتّحقيق ، والتّأكّد من صِحَّة أقوالِه وسلامة أفْكارِه ، ومناهِجِه "[4] .**

---

[1] ـ عواطف محمد يونس نواب ، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن هجريين ،دراسة تحليلية مقارنة ، مكتبة الملك فهد الوطنية ،د.ط، الرياض 1966 ص88 .

[2] ـ فؤاد قنديل ،أدب الرحلة في الثراث العربي ، مكتبة الدار العربية ، القاهرة ،ط2 ،2002 ص344 .

[3] ـ نوال عبد الرحمن الشوابكة ، أدب الرحلة الأندلسية حتى نهاية القرن 9 هـ، ص244 .

[4] ـ سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ص39 .

مانستخلصه من قيمة أخرى لفن أدب الرحلة ،**هي القيمة الأدبية** فهو بالإضافة إلى ما يحمله من فائدة للمؤرخ والجغرافي وعالم الاجتماع ،فإنّه يحفل أيضا بالعديد من :"**الأساطير والخرافات ، وبعض المحسنات البلاغية ، وجمال اللفظ ،وحسن التعبير ، وارتقاء الوصف، وبلوغه حدّا كبيرا من الدّقة ، علاوة على ما يستعين به أحيانا من أسلوب قصصي ، سلس ،مشرق ، وهذا هو الذي يجعل بعض الدارسين يدخلون أدبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي "**[1].

فكل إضافة في الكتابة الرحلية تقدم :"خدمة لفن الرحلة ، عن طريق التنويع في الكتابة ، وتخصيب التراث السردي ،واغنائه ،وتوثيق الصلة بين أشكال مختلفة أدبية ، بهدف كلّها إلى سرد التجربة الذاتية ، وتعميق المعرفة بالعالم والآخر "[2].

فمن الناحية الأسلوبية نجد أنّ أدب الرحلة يتنوّع أسلوبه من سرد قصصي ،وحوار ووصف دقيق للمشاهدالمختلفة والعجيبة ، هذا بالإضافة إلى تزويد رحلته بالعديد من الظواهر البلاغية (كالسجع ،والطباق ، والجناس ،والمقابلة .....)بطريقة مسترسلة دون تكلف أو مبالغة حتى لا تفقد الرّحلة فحواها .

وكثيرا ما يلجأ الرحالة إلى التصوير ، فيعمد إلى إبراز فكرته في صورة مرئية محسوسة وملموسة عن طريق "تحويل غير المرئي من المعاني إلى المحسوس ،وتعويم الغائب إلى ضرب من الحضور ...."[3]، الأمر الذي يجعل القارئ يحس وكأنّه رحالة مثله يشاهد كلّ ذلك بعينيه ،طبعا كل هذا بفضل تجسيد ما هو معنوي في صورة مادية حسية ، ولعلّ هذا ما دفع بشوقي ضيف إلى عدّأدب الرحلة نتيجة لما يتسم به "**خير ردّعلى التهمة التي لطالما اتهم بها الأدب العربي ، ونقصد تهمة قصوره في فن القصة "**[4].

---

[1] ـ سيد حامد النساج مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا ص8 .
[2] ـ سميرة انساعد ،الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ص39 .
[3] ـ بشرى محمد صالح ،الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، المركز الثقافي العربي ط1 ،الدار البيضاء ، المغرب 1994 ،ص3 .
[4] ـ شوقي ضيف ،أدب الرحلات ، ص 6 .

إنّ القول بأدب الرحلة فنّ يقترب من فن القصة راجع بالدرجة الأولى إلى طبيعة بعض الرحالة ، هؤلاء الذين مالوا إلى سرد "القصص التي عاشوها أو سمعوا بها ، وكان سردهم لهذه القصص بعفوية وحيوية ، قرّبت الرّحلة من عالم القصة ..."[1].

ولمّا كان لبّ الرحلة وصفها بالانتقال من مكان إلى آخر بوصف لما وقع نظر الرحالة عليه من مشاهدات وما سمعه من أخبار وعاشه من أحداث ، فإنّنا بذلك نسجل حضور الوصف الدقيق في أغلب الرّحلات إلى جانب السّرد ، بل وإنّه لم يقترب من فن القصة وفقط بل اشتمل على يمكن القول ـ جميع الفنون الأدبية على غرار فنّ الرواية في بعض الأحيان .

ولهذا يمكن القول أنّ أدب الرّحلة ليس فنّا لامستقلا بذاته كبقية الفنون الأخرى (قصة ، رواية ، شعر ..) إذ نجد فيه **"من الفنّ القصصي ما يمكن معه أن يمثل جذور القصة الأدبية ، حيث اعتمد على عناصر أساسية واضحة ،هي السرد ، والحوار ، والوصف ،والبدايات والنهايات ، والتشويق ، والإشتمال على هدف وغاية وهو أيضا يمثل شكلا أكثر اتساعا ، بما سمح من مساحة لعدد من المستويات اللّغوية أن تظهر شعرا كان أم نثرا ، لتنقل المهم والجديد والممتع والنافع "**[2]،لذا كان أدب الرحلة الفن الذي يجمع بين المتعة والفائدة المعرفية .

كما تجدر الإشارة إلى أنّ كثيرا من الرحالين لجؤوا إلى الإستشهاد بأبيات شعرية تبرز أدبيته ، سواء كانت من نظم الرحالة نفسه ،اثباتا لقدرته الشعرية والنثرية في آن ، أو مستشهدا بأبيات غيره ناثباتا لسعة إطلاعه ودقة معلوماته .

فالرحالة حين يستعين بالشعر ، إنّما ليعبر من خلاله عمّا يختلج في نفسه من مشاعر حركاتها مشاهداته وملاحظاته ، ومن هؤلاء نذكر أشهرهم في الثراث الرحلي العربي ابن بطوطة ،حينما أشاد بالغرب قاصدا المغرب العربي في مقابل المشرق ،والتي يعدها أحسن البلدان :

[1] ـ نوال عبد الرحمن شوابكة أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري ص 306 .
[2] ـ زيتوني لطيف ، السيميولوجيا وأدب الرحلات،عالم الفكر،مج :24 ،ع3 ،1996 ص257 .

الغرب أحسن أرض ولي دليـــــل عليه .

لبدر يرقـــــب منه والشمس تسعى إليه .[1]

وكثيرا ما يسيطر على الرحالة الجانب الذاتي ، فنجده يعبر عن أحاسيسه ومشاعره سواء كان شعورا بالفرح أو بالحزن .

فالرحالة ينقل مشاهداته في صورة "ممتعة ،وأخبار تلذ وتمتع ، وتستعرض بصورة أدبية ، تتسق مع النّفس البشرية ، فتشكل رافدا ثريا من روافدالفن والمتعة الأدبية "[2]

فإذا أعجب بشيء أو نقم عليه لم يجد الرحالة وسيلة يعبر بها وينقل تلك العواطف والمشاعر والأحاسيس ليكون لها أثر في ذاك الأخير ليتجاوب معها .

كما يلجأ أحيانا إلى طابع السخرية والفكاهة لإضفاء لمسة لها تأثير على القارئ بل "**قد يصبح هذا الأسلوب الخفيف المرح الساخر علاجا** "[3] ،للحزن والألم النفسي عسى أن ينجح اللهو فيم عجز عنه الجدّ ، وإلى جانب كل هذا (السرد ،الوصف ، الذاتية ، والسخرية)نجد أو نسجل حضور الأسطورة في بعض الرّحلات كرحلة أبي حامد الغرناطي ، ورحلة المسعودي .....

فالرحالة إذن ، ينقل لنا مشاهداته وملاحظاته ومعايناته في عمل فني يتمتع بالأدبية ذاكرا للأحداث كما هي مضيفا إليها تعليقاته ،ولمساته الأدبية والفنية ،وعليه نقول أنّ أدب الرحلة يحمل قيمتين أساسيتين واحدة **علمية** ،وثانية **أدبية** ،فهو ينطلق من ا لواقع، هذا الأخير بما فيه من أحداث لا بدا من أنّها ستحدث تأثيرا على نفسيته ومشاعره ،فيمزج ذلك بخياله ليخرج وينتج لنا تركيبا خلاقا يجتاحه الخيال مرات أثناء السرد حتى يثير الشوق والحيوية لدى المتلقي ،ويدفع عنه الرتابة والجمود ،والملل .

وإلى جانب هاتين القيمتين ،فإنّ أدب الرحلة وكما ذكرنا آنفا يحقق قيمة أخرى ،وهي القيمة التعليمية ، لأنّ الرحالة يستفيد هو الآخر من هذه الرحلة إذ يتعرف على الكثـــــير من المعلومات التي تخص البلد الذي زاره من خلال مخالطته واحتكاكه بالناس ، بالإضـــافة إلى أنّه سيستفيد من العلماء والمثقفين الذين جالسهم وحـاورهم ، مـــــع

[1] ـ ابن بطوطة محمد بن عبد الله،رحلة ابن بطوطة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج2، ص332 .

[2] ـ نوال عبد الرحمن شوابكة ،أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري ص53 .

[3] ـ ناصر عبد الرازق الموافي ،الرحلة في الأدب الغربي حتى نهاية القرن الرابع هجري ،ص 58 .

اكتسابه للخبرة والتجربة "**إذ يحصل على علم وافر وتجارب كثيرة في مختلف الميادين في التربية وأساليب التعليم والتهذيب ، نظرا لما يصادفه أحيانا من مصاعب،وما يؤكّد ذلك أنّ الراحل حين يعود يعمل في التدريس ،كما كان يكلف بالقضاء ،ومهام أخرى** "[1].

وهنا تبرز القيمة التعليمية للرحلات "فهي أكثر المدارس تثقيفا للإنسان ، واثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين "[2].

[1] ـ نوال عبد الرحمن شوابكة ،أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ،ص53 .
[2] ـ حسين محمد فهيم ،أدب الرحلات ص19 .

المبحث الثالث: أقسام أدب الرحلة

يمكن أن نقسم أدب الرحلات إلى قسمين :

القسم الأوّل : رحلة واقعية ،ورحلة خيالية .

القسم الثاني : رحلة شعرية ، ورحلة نثرية .

وفيما يلي تعريف للقسم الأول :

- **الرحلة الواقعية والرحلة الخيالية** :نعني بها الرحلة التي قام بها الرحالة حقيقة أي أنّها وقعت "ضمن زمان ومكان جغرافي آخر " [1]وهذا هو النوع الذي يخضع للدراسة في حين الرحلة الخيالية هي من صنع خيال الكاتب ،تحدث ضمن زمان ومكان متخيلين يقوم بها الإنسان في مناطق غير حقيقية وتصوّر مغامرات خارقة بقصد التسلية ، وإثارة الخيال ، مثل ذلك السندباد البحري [2].

وإذا كان الرحالة في الرحلة الخيالية يرحل بعقله وقلمه لا بجسده ،فقد ذهب بعض الدارسين إلى القول بضرورة إخراج هذا النوع من أدب الرحلة وإدراجه ضمن فن القصة لطغيان عنصر الخيال فيه ،ولكن عنصر الخيال وحده لا يكفي ،لأنّ هناك عناصر أخرى لا بدّ من توفرها .

وإذا كان الرحالة في الرحلة الواقعية ينقل لنا ما شاهده في البلاد التي زارها بدقة ، كونه تنقل بجسده حقا فيها ، فإنّه في الرحلة الخيالية يطلق أفكاره ومشاعره لتنقله بعيدا واقعه وعالمه إلى أماكن أخرى وأزمنة متباعدة ..

"فالرحلة المتخيلة أو الخيالية لا تتأسس فعليا في الوجود الفيزيقي ،أو تتطلب معيشة على المستوى الواقعي ،وأخرى ذهنية تؤسس لعالم متخيل بجنح إلى صوغ أفكار وتأملات معينة تتماس مع المثالية والعديد من المقولات والتصورات الصوفية ،والفلسفية ،والدينية التي ترسم رحلة النّفس في بحثها عن عالم آخر يكون بديلا عن الواقع ،وصولا إلى

---

[1]ـ ناصر عبد الرزاق الموافي ،الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع ص92 .

[2]ـ محمد رياض وتار ،توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دط، دمشق ،2002 ص23 .

المطلق واليقين والحقيقة والمعرفة الخالصة للتطهير "[1]**.**لأنّ الرحالة ـ يقول شوقي ضيف ـ **" الإنسان ولد راحلا ،وإن أعجزته الرّحلة تخيّل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال."**[2]

فالرحالة لمّا يسرد لنا الأحداث يمزج لنا الواقع بالخيال ،وبعبارة أخرى ، إنّه "يتخد أساسا من الواقع ثم يدير حوله وقائع مبتكرة ، كما فعل القصاصون الشعبيون مع رحلتي الإسراء والمعراج "[3].

يرى الدكتور شعيب حليفي أنّ هناك نوعين من الرحلات المتخيلة وجدا في الأدب العربي ،وهما يستندان في اختلافهما إلى مكوّن الفضاء بصفة أساسية ،فمكون الزمن ، وهذين النوعين من الرحلات هما :

1.**رحلات دنيوية** : وهي النصوص الرّحلية التي يتم رسم أحداثها ووقائعها في الدنيا داخل فضاء يكون معروفا أو مرموزا إليه في العالم الواقعي الأرضي في الأزمنة الثلاثة ،بحيث ينصب التركيز فيها ـ الرحلات الدنيوية الزمنية ـ (في الماضي والحاضر) على مكوّن الزمن باعتباره البؤرة التي تحرك النص الرحلي في إطار تقابل المتناقضات وإضاءة منطقة الحلم /المثال الذي تتحقق فيه القيم المفتوحة ،وتسمو الأخلاق وتسود العدالة .....وكلّها تقديرات نابعة من الحلم الثالي بواقع آخر يطهّر الحاضر الفاسد [4].

2.رحلات أخروية : "تضم الرحلات إلى الآخرة عوالم تخييلية مرتبطة بجنوح رسم عوالم الغيب ، وتخيل وقائع يوم القيامة وتصوّر ما يحدث في الجنّة ،والجحيم بأسلوب ترهيبي وترغيبي ، وهذا ما قام به العديد من الفقهاء في إطار ما يسمى بأدب القيامة ،ولعلّ **كتاب التوهم** للمحاسبي يبقى النّصّ الذي يمكن اعتباره أنضج من غيره من النصوص التي تناولت الآخرة ارتحالا تخيليا إليها فقد غختارت تيمة مغايرة تميّزها عن

[1] ـ الرحلة في الأدب العربي التجنس آليات الكتابة ، خطاب المتخيل ،مرجع سابق ص158 .
[2] ـ شوقي ضيف ، الرحلات ،دار المعارف ط4 ، القاهرة ، دت ص7 .
[3] حسين نصار ،أدب الرحلة ، دار المعرفة + الشركة المصرية العالمية للنشر ،ط 1 القاهرة 1991 ص162 .
[4] ـ شعيب حليفي ،الرحلة في الأدب العربي (التجنس ..آليات الكتابة ..خطاب المتخيل)ص159 - 160 .

كل ما كتب ، وهي تخيل ما يقع يوم الآخرة من محاكاة للشعراء والأدباء"[1] ،وهو ما تلمسه في الثراث العربي عند **"أبي العلاء المعري في رسالة الغفران"** وهو ما يقابله عند **الغرب "الفردوس المفقود لدانتي "**.فالرحلة المتخيلة جزء من نصوص الرحلة عموما ، يسودها جوّ عام فحواه البحث عن الأنا في الآخر والغير ، كذا التطهر والخلاص للوصول إلى بديل هو يقين ما استحال وجوده في الواقع العيني ،فتمّ طلبه باللجوء إليه في الحلم والتّوهم "[2] ،ويعد **أندري جيد *** واحد من هؤلاء الرّحالة الذي انطلق **"من عالم الواقع وانتقى منه الإنطباعات المؤثرة القوية ،ومزج ذلك بخياله الخصب الخلاق فأخرج لنا تركيبا رائعا تتحد فيه روحه بالعالم ،وتطغى عليه حياة جياشة بفضل ذاتيتها المتدفقة "[3]**. ليخرج لنا عملا ينتقل فيه من مستوى الحقيقة إلى ا لمستوى الأدبي (الخيال) .

➢ **الرحلة النثرية والرحلة الشعرية :**كنا قد أسلفنا الذكر بأنّ أدب الرحلة هو ذلك الفن النثري الذي يتخد الرحلة موضوعا له ،لكن لا يجب إغفال وجود رحلات شعرية كان لها صدى كذلك واقبالاعلى الدّراسة من قبل الدارسين والباحثين .

ولقد حاول أبو القاسم سعد الله الوقوف عند بعض من هذه الرحلات الشعرية (الجزائرية) سواء المكتوبة بلغة فصيحة أو مكتوبة باللّغة العاميّة .

1-الرحلات النثرية : يؤكد أبو القاسم سعد الله على أنّ " تكون الرحلات نثرية يتحدث فيها أصحابها عن مشاهداتهم ،وملاحظاتهم بلغة واقعية أو قريبة من الواقع "[4]. وهي تعتبر الرحلات النثرية ـ الأكثر شيوعا بالجزائر ،ولم تكن تتكلم عن المسائل العلمية ،والشيوخ ،وأهل العلم فحسب بل جمعت في طياتها العديد من المسائل والمواضيع .

ومن الرحلات النثرية التي ذاع صيتها رحلة أحمد بن عمار **"نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب "**،وهي في ثلاثة أقسام يقول :**"ورتبناها على مقدمة حاتمة ،وعرض مقصود ، وخاتمة ،فأمّا المقدمة ففي ذكر ما أنتجه العزم ، وتقدم على الإرتحال ،وأما الغرض**

---

[1] ـ المرجع نفسه،ص 162 .

[2] ـ المرجع نفسه ،ص165 .

* ـ أندري جيد :رحالة فرنسي تعدّدت رحلاته وكثرت خاصة اتجاه شمال افريقيا خلال الفترة الممتدة مابين (1893 -1951)

[3] ـ نادية محمود عبد الله ،الرحلة بين الواقع والخيال في أدب أندري جيد ، عالم الفكر ، مجلد 13، ع 4 ، يناير ،فبراير ، مارس 1983 ،ص118 .

[4] ـ أبو القاسم سعد الله ،آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر ،دار الغرب الإسلامي ط2 بيروت ص178 .

المقصود ففي ما يحدثه السفر إلى الإياب ، وحطّ الرّحال ، وأمّا الخاتمة ففي ما نشأعن ذلك بعد السكون وانضم إليه "[1].

كذا نذكر رحلة الأمير عبد القادر إلى الحجاز التي تضمنت سيرته الذاتية في كتابه **"مذكرات الأمير عبد القادر الجزائري "** الذي ذكر فيها بأنّه جال في عدّة بلدان هناك منها الشام وبغداد ،والاسكندرية .....كما تحدّث فيها عن زياراته للأولياء الصالحين والأضرحة ،والتقائه ومجالسته للعلماء .

2-الرحلات الشعرية_:وهي رحلات قام أصحابها بتدوينها أو بنظمها شعرا ومن أمثلة الرحلات الشعرية رحلة محمد ابن المسايب التلمساني من تلمسان إلى مكة المكرمة إعراجا على المدينة ، كذلك رحلة أو عثمان بن سعيد بن عبد الله المنداسي بالمغرب الأقصى بعد عودته من الحجاز ، تتضمن مدحا للرسول صلى الله عليه وسلم ،ووصفا للبقاع المقدسة وآثار الحجاز ومنازله .....

ومن الرحلات الشعرية كذلك والمكتوبة باللغة الفصيحة قصيدة محمد بن محمد منصور العامري التلمساني (ق18) وقصيدة أخرى تندرج ضمن الشعر الملحون هي لمحمد مسائب التلمساني .[2]

كما عرف الترلث الرحلي رحلات شعرية خالصة التقطت موضوع السفر والتعبير عنه شعرا ،فقد دوّن أحد الملاحين المعروف بماجدّتجاربه البحرية في مصنّف ضخم سماه **"الأرجوزية الحجازية "** ووقد ضمّ أكثر من ألف بيت ،وصف فيها الملاحة على سواحل البحر في القرن التاسع هجري .

أمّا ابنه أحمد بن ماجد فقد صنّف ألفية أخرى ، ومجموعة من المنظومات غيرها ، دعاها ب**الأراجيز،**[3] وهناك أيضا قصيدة في وصف الحجّ مدونة باللّغة الإسبانية بحروف عربية

[1] ـ ابن عمار أحمد ، نبذة من الكتاب المسمى نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب ،مطبعة بير فونتانة ، الجزائر ،1902 ص3 .

[2] ـ ينظر ،أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي (1500 - 1830)ج2 ،دار الغرب الإسلامي ط1 ، بيروت 1998، ص388 ،وما بعدها .

[3] ـ حسين نصار أدب الرحلة ، القاهرة ، مكتبة لبنان ،لونجمان ، ط1، 1991 ص101 - 102 .

لأحد الموريسكين عثر عليها مخطوطة بإسبانيا (أواخر القرن السادس عشر)وهي بعنوان : قصيدة الحاج القادم من بُويْ منشون .[1]

مميزات أدب الرحلة :

إنّ تعدّد أنواع الكتابة الرّحلية ،جعلها تشغل اهتمام العديد من الدّارسين ، وإن كان هذا الفن لا يزال يحتاج إلى دراسات من جوانب عدّة نتيجة لما حظي به من ميزات وخصائص فأهم ما يميّزه هو الشمول والتنوع ، فهي تشمل " **التاريخ ،والجخرافيا ، والدين والإجتماع، والسياسة .كذلك فإنّها** ى والميل **تعنى بالوصف الدقيق ، والتصوير الأمين والنقل الصادق، بدافع تحري الدّقة تحريا علميّا موضوعيا ، وهي عندئذ تتجلى بالإبتعاد عن الهووالغرض الذاتي "[2].**

أمّا التنوع فيتمثل فيما تزخر به من مواد ذاتية غنية ،فهي أحيانا علمية وأحيانا أخرى شعبية ، مرات تعكس الواقع فتكون واقعية ،ومرات أخرى أسطورية ميتافيزيقية ، تحوي المتعة إلى جانب الفائدة ....

[1] ـ شعيب حليفي ،الرحلة في الأدب العربي (التجنس ،آليات الكتابة ،خطاب المتخيل) ص129 .
[2] ـ سيد حامد نساج ،مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا ص9 .

المبحث الرابع : نشأة أدب الرحلة عند العرب .

أسهم العرب والمسلمون خلال رحلاتهم المتعدّدة في فتح بلدان قاصية من الهند والصين، إلى المحيط الأطلسي وجبال البرانس ،ومن التركستان ،والقوقاز إلى السودان ومجاهل إفريقية .....وكان هذا عاملا بارزا في كثرة الرّحلات عند العرب قديما وحديثا ، وتنوّعها بتنوّع الأسباب والدواعي ، والطرق والإتجاهات ،[1] فقد اتخدت الرحلة بعد الإسلام طابعا آخر ،إذ **"صارت فنّا عربيا أصيلا في النثر العربي بسماته التاريخية، والجغرافية ،واهتمامه بحياة الناس وتقاليدهم ،وأنماط عيشهم ، وبمضمونه الفكري والاجتماعي ،وأسلوبه الأدبي المتميّز "[2]**،الذي يمتزج في الواقع بالخيال ،دون أن ننسى الجانب الإثنوغرافي ،ليكون بذلك أدب الرحلة **"مصدر الوصف للثقافات الإنسانية ،ولرصد بعض جوانب حياة النّاس اليومية في مجتمع معيّن خلال فترة زمنية محدّدة "[3].**

وإذا تتبعنا مسار أدب الرحلة عند العرب فقد شرعوا في تأليف رحلاتهم **"منذ القرن الثالث الهجري الموافق للقرن التاسع الميلادي ، واصطبغت مؤلفاتهم بالصبغة الجغرافية، والتاريخية "[4].**

حيث نسجل انطلاقة هذا الفن مع ابن يعقوب من خلال كتابة البلدان ،وهذا الذي نال عناية الكثير من الدارسين والباحثين **"لأمانته العلمية ،ودقته وابتعاده عن الغرائب والعجائب ،قام برحلات كثيرة امتدت شرقا إلى الهند ،وبلغت أقصاها غربا برحلته إلى بلاد المغارب والأندلس "[5].**

والجدير بالذكر أنّ معظم رحالة وجغرافي النصف الأوّل من القرن الثالث هجري من اللغويين ،وأبرزهم هو اللّغوي ،والمؤرخ المعروف هشام الكلبي (توفي حوالي 206 هـ) الذي يعدّ نموذجا للرحالة الخبير بالجزيرة العربية، خلال أواخر القرن الثاني الهجري ،

---

[1] ـ سميرة أنساعد ،الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ص39 ،40 .

[2] ـ عمر بن قينة ،اتجاهات الرّحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة ،ديوان المطبوعات الجامعية ، دط الجزائر بن عكنون ،1995 ،ص 11 .

[3] ـ حسين محمد فهيم ،أدب الرحلات ، ص 15 .

[4] ـ سميرة انساعد ، المرجع السابق،ص40 .

[5] ـ فؤاد قنديل ،أدب الرحلة في التراث العربي ،ص117 .

وأوائل الثالث ، وقد صنّف عديدا من المؤلفات ،وأهمها : **"كتاب الأقاليم "،"البلدان الكبير" ، " البلدان الصغير " ، وكتاب "أنساب البلدان " .**[1]

وإلى جانب هؤلاء ،شهد هذا القرن رحالين آخرين نذكر منهم : الأصمعي الذي توفي عام 216 هـ ، وجاء بعده تلميذه سعران ابن المبارك الذي وضع كتاب **"الأرضيين والمياه ، والجبال ،والبحار "** ، كما سار على الدرب نفسه عزام بن الأصبغ وهو رجل أمي أملى وهو في سن الشيخوخة كتاب " **أسماء جبال تهامة ومكانها "**،وبن موسى المنجم ، ونلتقي بعد ذلك بالتاجر سليمان الذي أبحر عدّة مرات إلى الهند والصين .[2]وهو يعدّ رائد أدب الرحلات البحرية ،ونصل بعد هؤلاء الرحالة الذين يمكن أن نطلق عليهم الرحالة الشفهيين إلى مجموعة من الرحالة ، الذين حرصوا على ما حصلوا من علم ، فأودعوه بطون الكتب ،وهم يمثلون معا البداية الحقيقية لعلم البلدان وفي مقدمتهم ابن خردادية ،والبلاذي ،وابن رستة وابن الفقيه ،واليعقوبي ،والجيهاني .[3]

أما إذا انتقلنا إلى القرن الرابع الهجري ، فإنّنا نسجل ثلاث رحلات بارزة ،أوّلها رحلة المسعودي ،والتي نقلها لنا في كتابه **"مروج الذهب ومعادن الجوهر "** فقد كان اهتمامه بالرحلة اهتماما بالغا ، كونه أدرك أهميتها ، الأمر الذي جعله يعدّد منافعها فيقول :"ليس **من لزم جهة وطنه وقنع بما نهى إليه من الأخبار عن اقليمه كمن قسّم عمره على قطع الأقطار ووزع أيامه بين تقادف الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنه واثارة كلّ نفيس من مكمنه .** [4]

وكتاب المسعودي هو حصيلة الرّحلات التي قام بها خلال سنين ، مسجلا كلّ ما شاهده وعاينه ؛ونظيره البيروني الذي يمثل هو الآخر رحّالة هذا العصر من خلال كتابه **"تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مزدولة ".**وابن فضلان الذي أوفده الواثق إلى بلاد البلغار ونهر الفولجا ...وتحفل رسالته التي دوّنها عن رحلته بمادة اثنوجرافية على درجة عالية من القيمة والطرافة والتنوع .....

---

[1] ـ فؤادقنديل ،أدب الرحلة في الثرات العربي المرجع السابق ص 70 .

[2] ـ المرجع نفسه، ص71 ـ 72 .

[3] ـ المرجع نفسه ،ص 72 .

[4] ـ المسعودي أبو الحسين علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج 1 ، تقديم محمد السويدي، موفم للنشر ، دط ، الجزائر 1989 ص 7 .

أيضا ظهر أبو دلف (مسعر بن المهلهل) الرّحالة الشاعر الصعلوك الذي زار عديدا من البلاد ومن أهمها الصين ، وتمثل رحلة ابن سليم الأسواني أهمية جوهرية لأنّها تعدّ أوّل رحلة إلى بلاد النوبة .[1]ومن الرحلات التي شهدها هذا القرن أيضا نذكر رحلة أبو زيد البلخي ، رحلات للأصطخري ، وقدامة ابن جعفر ،وابن حوقل والمقدسي وغيرهم ..

أما عن رحالة القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) يتراآ لنا الرحلات التي قام بها الطبيب البغدادي ابن بطلان عام(404 هـ)إلى الشام ومصر وانطاكية ، والقسطنطينية [2].

ويطلّ علينا أبو الريحان محمد البيروني(ت 404 هـ) وكتابه **"تحقيق ما للهند من مقولة "**

حيث قام برحلات إلى الهند ، وهذا الكتاب لايمكن اعتباره كتابا جغرافيا بحتا وإنّما يتضمن كذلك آراء في الدين والفلسفة والتاريخ ،[3] فأدب الرحلة بدأ يتسم بالاستقلالية عن التاريخ والجغرافيا ،وبرز كفن أدبي له طابعه الخاص .

ونشهد في منتصف هذا القرن افتتاح صفحة جديدة لمسيرة هذا الأدب حيث يحتل هذه الصفحة رحّالة من المغرب الإسلامي بعد أن كان مقتصرا على المشارقة ،ومنهم : أحمد بن عمر العذري الذي ارتحل إلى الشرق وعاش في مكة تسعة أعوام ، يقول محمد مسعود جبران : **" إنّ الاهتمام بتدوين الرّحلات من أبرز مميزات الأدب المغربي على الإطلاق ، حتى إنّنا يمكن أن نقول إنّ أهم ما شارك به المغرب في بناء صرح الثقافة العربية العامة هو مع الأبحاث الفقهية فن الرّحالة "[4] أي** أنّ المغاربة كانوا مهتمين بهذا الفن التعبيري منذ القدم ولو تأخّروا من حيث التدوين ، وممّا تركه لنا العذري كتابه **"نظام المرجان في المسالك والممالك "** ، إلى أن نصل إلى أكبر رحالة الأندلس في هذا القرن أبو عبيد عبد الله البكري (ت 487 هـ) وله كتابان هما :**"المسالك والممالك " "ومعجم ما استعجم من**

[1] ـ فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي ،المرجع السابق ،ص 73 .
[2] ـ المرجع نفسه ص 74
[3] ـ المرجع نفسه ص 74 .
[4]ـ جبران محمد مسعود ، فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب ، المجلد 2 ، دار المدار الثقافية ط1 2009 ص9 .

أسماء الأماكن والبقاع " الذي يعتبر أوّل معجم جغرافي يتناول أسماء ،ومواضع عدد كبير من المدن والبلاد الإسلامية ،وما يخصّها من الأخبار والأشعار [1] .

أمّا عن القرن السادس الهجري (الثاني عشر ميلادي) فيكاد يكون منافسا للقرن الرابع الهجري من حيث كثرة التأليف وحجم الإنجاز في هذا الفن .

فمن رحالة هذا القرن نذكر ، أبو حامد الغرناطي الأندلسي الذي صنّف كتابين هما :"**تحفة الألباب ونخبة الأعجاب** "، و"**المغرب عن بعض عجائب المغرب** " ونظيره الشريف الإدريسي(ت 570 هـ) صاحب كتاب " **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** " .

ورائد هذا القرن والذي يعدّ أوّل من استخدم لفظة رحلة في مؤلفه ،هو الرحالة الأندلسي العالم الفقيه أبو بكر العربي(ت 543 هـ) ومؤلفه **ترتيب الرحلة** ،ويعتبر بهذا أوّل من وضع أساس أدب الرحلات بالصورة الفنية المأمولة [2]، وقد مهّد هذا الآخير لظهور لأديب رحالة معروف هو ابن جبير(ت 614 هـ) ، الذي اكتملت على يديه ملامح أساسية لأدب الرّحلة العربي [3]، ويمكن القول بأن كتب الرحلات تبدأ من هذا العهد برحلة ابن جبير الموسومة ب **" تذكار الأخبار واتفاقات الأسفار** " الذي حرص من خلاله على ضمّ جوانب سياسية وحربية ،واجتماعية ،واقتصادية ،وعقائدية للبلد المزار ـ **الشّام** ـ وتجنب ذكر الغرائب والعجائب ، حيث يرى بعض الدارسين أنّ كتابه أحسن ما ألف في فن الرحلات وهو يمثّل ذروة هذا الفن عند العرب ، ونصل مع ختام هذا القرن إلى رحالة معاصر لابن الجبير هو **علي الهروي** وقد خلّف لنا كتابه الشائق "**الإشارات في معرفة الزيارات** " [4].

أمّا عن القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي) فإنّنا نعثر على مصنفات ومؤلفات لاتقل أهمية عن سابقاتها ، ولعلّ أهم انجازات رحالة هذا القرن هو صدور كتاب (**معجم البلدان) لياقوت حموي (ت 626 هـ)** الذي يعدّ مرجعا هاما لكلّ باحث ذلك أنّه يمثّل دليلا لمعرفة مختلف الأقطار والأمصار ، جمع بين مجلداته الضخمة قيمة وقدرا كبيرا من الثراء عن مدن وقرى العالم الإسلامي ، ومن الرحالة في هذا العصر نذكر ابن سعيد المغربي

[1] ـ ينظر ،فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ص 74 -75 .
[2] ـ المرجع نفسه، ص 75 .
[3] ـ المرجع نفسه، ص75 .
[4] ـ المرجع نفسه ،ص 76 .

وكتابه "**النفحة المسكية في الرحلة المكية** "، ونذكر يوسف ابن يعقوب الدمشقي (ابن المجاور) وكتابه "**تاريخ المستبصر** " وفي المغرب نذكر الرحالة الأندلسي ابن سعيد (ت673 هـ) وكتابه" المغرب في حلى المغرب "و"المشرق في حلى المشرق "، ولا ننسى الأديب الفقيه محمد العبدرى صاحب الرحلة المغربية ...[1]

عرف أدب الرحلة أكبر وأوج تألقه في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) بمستواه الأدبي الراقي واتساع مجاله الجغرافي ، حيث أثمر هذا القرن الرحالة العالمي صاحب "**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** " ألا وهو الرّحالة الأشهر ابن بطوطة أبو عبد الله اللواتي الطنجي ، الذي انتقـــلت الرحلة معه إلى مستوى عالمي أوسع وأشمل "لم يتضمن كتابه الضخم إلاّ ما رأى وما سمـــع وعاين ،وليس فيه ما نقل عن غيره إلاّ صفحات قليلة أضافها كاتبه ابن جزى ،ونجـــــم هذا الرّحالة أضاء وغلب على باقي معاصـــــريه ممّن ارتحلوا ونذكر منهم شمس الدّين الدمشقي وكتابه نخبة الدهر في عجائب البّـــــر والبحر ، أبو الفدا وكتابه "**مختصر تاريخ البشر** " وكتابه الآخر "تقويم البلدان "، ومن الرحلات البارزة كذلك نذكـــر رحلة البلـــوى المعروفة باسم "**تاج المفرق في تحلية علماء المشرق** "وآخلا الرّحلات المهمة هي دون شك رحلة العالم السياسي والمؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون (ت 808 هـ) المسماة ب "**التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا** "[2]،التي تعتبر أنموذجا مثاليا لنمط السيرة الذاتية أو الترجمة الذاتية ، حيث كان تركيزه الأكبر على استعراض سيرة حياته .

وخاتمة عصور الرحـــــــلات ـالقرن التاسع ـ شهد رحلات على غرار رحلة عبد الباسط بن خليل الظاهري المصري ، رحلة الحسن بن الوزان ،رحلة أحمد المقرى ...

فيما تقلصت الرحلات نسبيا خلال القرنين التاســـع والعاشر الهجريين (الخامس عشر و السادس عشر الميلادي) بسبب ازدياد وطأة الحروب ،والهجمات اللأروبية على العالم العربي ، المغاربي خاصة ،لتتوقف خلال القرنيـــــــــن الحادي عشر والثاني عشر

[1] ـ فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ص 76 - 77 .
[2] ـ المرجع نفسه، ص 79 - 80 .

الهجـــــريين ، والسابع عشر ،والثامن عشر الميلاديين فلا نكاد نذكر إلاّ رحلتي النابلسي والطرابلسي والعياشي الذي اشتهر برحلته الضخـــــــــمة **"مـــــــــاء الموائد ".**[1]

وسرعـــــــان ما بدأ أدب الرحلة في الانتـــعاش من جديد مع بداية القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) حيث اتخدت الرّحلة وجهة مميزة نحو أوروبا وكان في مقدمة الرحالين غربا رفاعة رافع الطهطاوي **"تلخيص الإبريز ".**

ويواصـل هذا الفن مسار تطوّره في القرن الرابع عشر الهجري (العشرون ميلادي) الذي بدأت الرحلة معه مرحلة تاريخية جديدة قوامـها الاستفادة من المعلومات المتراكمة عبر العصور ومن التكنولوجيا الحديثة ،فازدادت المعرفة بالعالم ،والإنسان ،ويمكننا أن نقول عن الأسفار اليوم **"إنّها تكوّن الأمـــــم ، وتسنى لها عن طريق تنقل الأشخاص والإحتكاك المباشر بينهم إلى حدّ الإمتـــــزاج ظروفا جدّ سائحة لتقوية التعارف والوصال والوئام "** ،وأعطت نتـاجا أدبيا غنيا بانطباعات الرحالة حول ما سمعوه وما شهدوه من مناظر البلدان التي زاروها ووقفوا على عاداتها وتقاليـدها، وأكثر من ذلك فقد صارت أخبار الأسفار في العهد الرومانسي جنسا أدبيا يترجـــم بصدق بحث الرومانسيين في الشـــرق خاصة عمّا يلهم خيالهم ويخصب قرائحهم ويجدد مصادر أدبهم .[2]

فمسيرة هذا الفن طويلة عرف خلالها فترات نضج وكمال كما شهدناه في القرن الرابع الهجري، وفترات فتور وخمول كما هو الحال في القرنين التاسع والعاشر وحتى القرنين الحادي عشر ،والثاني عشر ،كما عرف التحاق ركب المغاربة به وكان ذلك في القرن الخامس الهجري ، "فهذه الطوارئ وغيرها لم تمنع الباحثين من الكتب على دراسته بل ،والكتابة فيه ،بالرغم من أنّه وبعد الثورة الصناعية ،والتطور التكنولوجي صوّبت الرحلات نحو جهة واحدة هي الغرب "فلم يعد طالبوا العلم يشدون الرحال إلى بغداد ودمشق ، والقاهرة كما كان في العهد الماضي ، وإنّما أصبحوا جميعا ينطلقون إلى باريس ،ولندن ، وغيرهما" ..... [3] .

---

[1] ـ فؤلد قنديل ، أدب الرحلة في الثراث العربي ،المرجع سابق، ص 81 .

[2] ـ حسن جبار ، صورة الشرق العربي والإسلامي عند محمد أسد في رحلته " الطريق إلى مكة " رسالة ماجستير في اللغة العربية والأدب العربي ص04

[3] حسن جبار ، صورة الشرق العربي والإسلامي عند محمد أسد في رحلته " الطريق إلى مكة " رسالة ماجستير في اللغة العربية والأدب العربي المرجع سابق ،ص05

الفصـــل الثانـــي : دراسة فنيّـــة لرحلـــــــة ابن خلدون

- المبحـــث الأول : التّعريف بابن خلـــــــــدون
- المبحـــث الثاني: التعريـــف برحلة ابن خلدون غربـــاً و شرقـــاً
- المبحـــث الثالث: البـنـــاء الفنّـــــــــي للرحلـــــــــة

المدخـــــــــــل:

- تعريف الرّحلة : لغة / اصطلاحًـــــــــــا.
- تجنيـــــــس الرّحلـــــــــــــــــة.

الفرق بين:

- الجغرافيا الوصفيّة/الأدب الجغرافي/أدب الرّحلات.

الـــمبحـــث الأول : ماهية ابن خلدون

➢ حـــيـاة ابـــن خـــلدون :

هو الفقيه الاديب الفيلسوف المؤرخ الرحاله العربية الشهير ابن خلدون وقد ذكر ابن نديم اسمه في الفهرست " عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن محمد بن جابر بن ابراهيم بن محمد بن عبد الرحيم ولي الدين ابو زيد الجضرمي من ولد ابن حجر الاشبيلي تونسي الاصل ثم القاهري المالكي ويعرف بان خلدون " [1]

ولد ابن خلدون بتونس ،في بداية رمضان سنة 732 هـ 27 مايو عام 1332م،و هو ينتمي لأسرة من أصل حضرمي انتقلت الى الأندلس و المغرب مع الفتح العربي لهذه البلدان [2]

يقول ابن خلدون عن نسبه قائلا "عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحيم بن خلدون، ويغلب على الظن أنّهم أكثر ، و أنّه سقط مثلهم عددا ،الأن خلدون هذا هو الداخل الى الأندلس فان كان أوّل الفتح فامتداده الى هذا العهد بسبعمائة سنة فيكون زهاء العشرين ، ثلاثة لكل مائة و نسبنا لحضر موت ، من عرب اليمن الى أوائل بن حجر الصّحابي الجليل ، من قبائل العرب معروف وله صحبة "[3]

فاسم ابن خلدون هو :عبد الرّحمن ، وكنيته أبو زيد،و لقبه وليّ الدّين ، و شهرته ابن خلدون.

و لقد اكتسب كنيته من ابنه الأكبر فقد لقب به بعد توليه وظيفة القضاء في مصر سـنة 786 هـ بتفويض من السلطان الظاهر بيبرس و خلع عليه لقب وليّ الدّين .

و أمّا خلدون نسبة الى جدّه "خالد بن عثمان "و هو الذّي دخل من هذه الأسرة في الأندلس ثم اشتهر بعد ذلك ب "خلدون" حسب طريقة الأندلسيين ، وهم يضيفون الى الأعلام واواً ونوناً للدّلالة على تعظيم من يحمل هذا الاسم مثل: حمدون ، زيدون ، محمدون و خلدون.[4]

وقد أشار ابن حزم الى أسرة ابن خلدون فهو يقول "انّ أسرة ابن خلدون ترجع الى أصل يمني حضرمي ، و أنّ نسبها في الإسلام يرجع الى وائل بن حجر و هو صحابي جليل روى

---

[1] ابن نديم الفهرست,دار المعرفة,بيروت لبنان,ج3,دت,ص330.

[2] المرجع نفسه ,ص 530.

[3] ابن خلدون , التعريف بابن خلدون في اخر كتاب العبر,دار الكتاب العلمية ,بيروت ,لبنان, ج/1,ص451.

[4] علي عبد الواحد ,عبقريات ابن خلدون ,مكتبات عكاظ ,جدّة ,دط,سنة 1992,ص 19.

عن النبي صلى اللّه عليه وسلم سبعون حديثاً ، وبعثه صلى اللّه عليه و سلم مع معاوية بن أبي سفيان الى أهل اليمن يعلمهم القرآن والإسلام .[1]

" وبيت بني خلدون الى الآن في اشبيلية نهاية في النّباهة و لم تزل أعلامه بين رياسة سلطانية أو رياسة علمية".[2]

وقد ظهر نجم بني خلدون في عهد الأمير عبد الرّحمن الأموي عام 274 هـ ،ثم ظهر نجمهم في اشبيلية في عهد الطوائف حيث اشتركوا في موقعة الزلاقة التي انتصر فيها المسلمون و أما والد ابن خلدون أبو عبد اللّه محمد عزف عن السياسة و آثر الدرس و العلم و كان مقدما في صناعة العربية و الشعر و فنونه وتوفي سنة 749 هـ ،عن خمسة أبناء هم عبد الرحمن و عمر و موسى و يحيى و محمد.[3]

- نشأة ابن خلدون :

نشأ ابن خلدون في ظل والده و هو الذّي ربآه تربية حسنة ، فأحب الإسلام و تعلم تعاليم مبادئ الدّين منذ صغر سنه، وحفظ القرآن الكريم على يدي والده ،كما تعلم مباديء اللّغة العربية .

يقول ابن خلدون "ولدت بتونس و ربيت في حجر والدي رحمه اللّه الى أن أيفعت و قرأت القرآن الكريم على الأستاذ المكتب أبي عبد اللّه محمد بن سعد بن برّال الأنصاري ، و بعد أن استظهرت القرآن الكريم من حفظي، قرأته عليه بالقراءات السبع المشهورة افرادا وجمعا في احدى و عشرين ختمة ،... ودارست عليه كتبا جمّةً مثل كتاب التسهيل لابن مالك و مختصر ابن الحاجب في الفقه و لم أكملها حفظاً ، و في خلال ذلك تعلمت صناعة العربية على والدي.[4]

وكان ابن خلدون حريصا على طللب العلم مقتديا في ذلك بسيرة سلفه من العلماء والفقهاء،فقد كان يقطع الأميال والمسافات ،ويسافر من بلد الى بلد آخر لأجل العلم.

---

[1] خير الدّين بن محمد بن عي بن فارس الزركلي, الأعلام , دار العلم للملايين,ج 2002/08,ص 601.

[2] ابن خلدون , تاريخ ابن خلدون المسمى العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيّام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر , مؤسسة جمال للطباعة و النشر,بيروت,لبنان,ج7, 1979,ص 453.

[3] المرجع نفسه , ص 457.

[4] المرجع نفسه ,ص 457-462.

يصف فؤاد قنديل ابن خلدون بهذه الكلمات"هو الفقيه الأديب الفيلسوف المؤرخ الرحالة العربي الشهير ابن خلدون، الذي وضع الأ سس الاولى لعلم الاجتماع قبل اوجست كو نت بعدة قرون ، وكان نموذجا فذا للعالم الجاد الطموح ، له عدّة اسهاما ت بارزة في كافة ألوان الفكر والمعرفة ،وفي مجا لات عدّة من الفنون والعلوم،حتّى لقد كتب في الطب والتنجيم والصناعات كالبناء والتجارة والحياكة"[1]

و قد أخذ ابن خلد ون دروسا على أيدي مشا يخ آخرين في تونس و درس كتب الحديث كصحيح البخاري و صحيح المسلم و غيرهما ، ودرس الفقه المالكي و كتب العربية و الشعر .

فحياة ابن خلدون لم تكن كحياة الآخرين تسير في هدوء و استقرار ، وانّما كانت حياة صاخبة مضطربة ، اذ ارتبطت بحياة كثير من الدّويلات و الحكّام في الغرب و الشرق ، خاض فيها مكائد و مغامرات .تقّلد طوال ما يفوق النصف قرن من الأزمنة وظائف ديوانية و سياسية و قضائية ،"و تقلب في خدمة القصور و الدّول في المغرب و الأندلس و مصر ، يدرس أحوالها و يحلّل أمورها ، و يتغلغل بين القبائل يتأمل طبائعها و تقاليدها و أحوال حياتها."[2]

فوهب جزءاً من حياته الى الدّراسة و عكف على التأليف و الكتابة ، يمدّ من علمه وخبراته في مؤلفاته المهّمة ، باصما ايّاها بخصائص و مزايا شخصيته و طباعه.

ومن هذه المؤلفات – والذّي سنورد له مبحثا خاصًّا- جاء كتابه " التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً و شرقاً" ليعكس شخصية ابن خلدون المؤّرخ و الأديب أكثر ممّا يعكس شخصية ابن خلدون العالم الاجتماعي أو الرّحالة.[3]

توفيّ ابن خلدون عام 808 هـ في مصر ، يوم الأربعاء من رمضان عن عمر يناهزست وسبعين سنة، قضاها متنقلاً في أنحاء العالم الاسلامي متقلدّا بوظائف عديدة وآخرها القضاء في مصر – أين قضى نحبه- و دفن في مقابر الصوفية خارج باب النّصر.

[1] فؤاد قنديل،أدب الرحلة في الثرات العربي , مرجع سابق , ص 529.

[2] حسين محمود حسين ,أدب الرّحلة عند العرب ,دار الأندلس ,بيروت,لبنان, ط 2, 1403هـ/1983م, ص 56.

[3] المرجع نفسه , ص 56.

➢ مؤلفات ابن خلدون:

و من أهم مؤلفاته نذكر :

1. مقدمته " مقدمة ابن خلدون".
2. كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر و من عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر
3. شرح الرجز في أصول الفقه.
4. الحساب.
5. وصف بلاد المغرب لتيمولنك.
6. تذكير السهوان.

➢ رحلات ابن خلدون :

في أوائل عام 753 هـ سار ابن خلدون مع رئيسه ابن تافراكين لمقابلة جيش أبي زيد الحفصي حيث انهزم ابن تافراكين ، ففرّ ابن خلدون خفية من المعسكر المهزوم ناجيّا بنفسه و سار مطوفا في البلاد حتى وصل الى بلاد الجزائر، وتزوج هناك من بلدة قسطنطينية في عام 754 هـ[1]

وفي عام 764هـ سافر ابن خلدون الى الأندلس، ودخل غرناطة ونزل عند سلطانها محمّد بن يوسف بن اسماعيل و كان وزيره الأديب الشهير ابن الخطيب لسان الدّين محمد بن عبد اللّه، وقد اهتم السلطان و الوزير بمقدمه واحتفيا به وأكرما مثواه، وضمه السلطان في مجلسه.

ثمّ سافر الى اشبيلية الموطن الأصلي لبني خلدون ، وفي سنة 766 هـ و صل الى بجاية و استقبله أميرها و أهلها استقبالا حارّاً ، وولاّه الحجابة و كان منصب الحجابة أعلى منصب في الدّولة عندهم.[2]

ثمّ في عام 776 هـ رجع مرّة أخرى الى الى الأندلس حيث ترك أسرته بفاس وجاز المغرب ووصل الى غرناطة فنزّل في ضيافة سلطانها ابن الأحمر ومكث عنده مدّة وجيزة.

ثمّ رجع الى المغرب و بدأ تأليف كتابه في التاريخ " كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر" حتّى أكمله ، و كان ذلك سنة 776 هـ حتى سنة 480 هـ.

[1] علي عبد الواحد,عبقريات ابن خلدون , مرجع سابق , ص 43.
[2] ابن خلدون ,تاريخ ابن خلدون , ص 500.

سافر الى الاسكندرية في يوم العيد سنة 784 هـ و قد أقام بها شهرا ثمّ انتقل الى القاهرة في أوّل ذي القعدة ووصفها وصفاً رائعاً قائلاً "انتقلت الى القاهرة أوّل ذي القعدة، فرأيت حاضرة الدنيا ، و بستان العالم ، ومحشر الأمم، ومدرج الذّر من البشر، ايوان الاسلام، وكرسي الملك تلوح القصور و الدّواوين في أجوائه ، و تزدان الخوانق و المدارس بآفاقه، وتضيء البدور و الكواكب من علمائه فأقمت بها أيّاماً...."[1]

وسافر الى مكّة المكّرمة لأداء فريضة الحّج ، ووصل الى مكّة في يوم الثاني من ذي الحجّة ، وبعد أداء مناسك الحجّ، ذهب الى ينبع و بقي خمسين ليلة ، ثمّ عاد الى القاهرة سنة 790 هـ ، وسافر الى فلسطين في عام 802 هـ ، وزار بيت المقدس و مدينة الخليل ثمّ زار بيت لحم ، ثمّ رجع الى مصر في أواخر رمضان 802 هـ.

[1] ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون, مرجع سابق, ص 500.

المبحث الثاني: التعريف بابن خلدون و رحلته غرباً و شرقاً

يعتبر هذا الكتاب نموذجاً جيّداً لنمط الترجمة الذاتية ، حيث يترجم المؤلف لسيرته حياته بقلمه، وهو ليس سّباقاً في ذلك ، فقد سبقه من المؤلفين العرب و المسلمين الذّين ترجموا لأنفسهم ياقوت الحموي عندما ترجم لنفسه في معجمه عن الأدباء، و لسّان الدّين بن الخطيب في كتابه " الاحاطة بأخبار غرناطة"، والحافظ بن حجر في كتابه "رفع الأصر عن قضاة مصر".

الّا أنّ الأوّل ابن خلدون قد فرق نفسه عن هؤلاء فلم يقنع بترجمة موجزة مقتضبة عن نفسه كمت فعلوا، و انّما أفاض في التّعريف بذاته ، و في تقديم نفسه افاضة دقيقة و شاملة، اذ أعطى أخبار سيرته و أهم أحداث حياته بشيء من التفصيل الى ما قبل رحيله عن الدنيا ببضع أشهر.

و هو حينما وضع كتابه ، جعل بعنوان " التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب" و ذيّل به كتاب –العبر- ، ثمّ أدخل عليه كثيرا من التعديلات و التنقيحات و الزيادات في المراحل التّي عرض لتأريخها في وضعه الأوّل و أضاف اليه تاريخ المراحل الأخيرة في حياته ، فعظم بذلك حجم الكتاب ممّا دعاه الى أن يستبدل بعناونه القديم عنواناً آخر يدّل على سعة ماعرض له، و سمّو له لجميع مرتحل حياته ، فسمّاه التّعريف باين خلدون مؤلف المتاب ورحلته غرباً و شرقاً.[1]

فجاء هذا المؤلف مختلفاً عن باقي مؤلفات الرّحلات الأخرى كرحلة ابن جبير و لبن بطوطة مثلاً ، مختلفا عنها في نمطه ، فابن خلدون قصره –كتابه- على تدوين و رصد وتسجيل ظواهر خاصة من الحياة ، عارضا ايّاها خدمة لهدفه السّياسي ، الترجمة لنفسه والتعريف بحياته ، حياة أثرت محتوى الكتاب بتنقل ابن خلدون في مغارب البلاد الاسلامية و في أجزاء من مشارقها ، فقامت بذلك على السفر و الرّحلة.

ماترتب عيه أن نحصل على كتاب "يعكس شخصية ابن خلدون المؤرخ و الأديب ، أكثر ممّا يعكس شخصية ابن خلدون العالم الاجتماعي أو الرّحالة"[2].

[1] حسين محمود حسين , أدب الرّحلة عند العرب , مرجع سابق , ص 55,56.
[2] المرجع نفسه, ص 56.

فقد ترجم لنفسه من خلال تاريخ الدّويلات التي عاصرها و عاش أحداثها بل و قد صنع كثيرا من تلكم الأحداث و أكثر من ذلك شارك في خلق بعض تلك الدويّلات أو الحكومات التّي مثلت الأدوار ، و تبادلت الظهور و الاختفاء على ساحة التاريخ في الشمال المغربي من دولة الحفصيين الى دولة بني عبد الواد و الى بني مرين و غيرهم.

وقد امتد مجال عمله الى دولة بني الأحمر في غرناطة بعدهما هاجر الى الأندلس بعد أن غلقت في وجهه قصور المغرب و أصبح موضع شك فيها.

كما لحق نشاطه "مصر مع حكم الظاهر قلاوون ، فتولى التدريس في الأزهر وفي بعض المدارس الكبيرة فيها، و تولى منصب قاضي قضاة المالكية عدّة مرّات، وقد عاصر غزو المغول أيّام تيمورلنك لبلاد الشام ، وشارك في مقاباته في دمشق في وفد من العلماء"[1]

كلّ هذا و ذاك ممّا حدث في مغرب العام الاسلامي و شرقه ، دوّنه ابن خلدون من خلال تعريفه بنفسه لمشاركته فيها و صنعه لبعضها.ولم يقتصر تعريفه بنفسه على عرض هذه الجوانب العامّة من حياته ، فانّه تناول في ترتيب منطقي جوانب حياته الخاصة ، فذكر لنا نسبه و تكوينه العلمي، وأفاض في ذلك افاضة دقيقة ، فذكر شيوخه الذّين أخذ عنهم ، وتلاجم لبعضهم ترجمات خاصة مطّولة ، ولم يكتف بذلك بل ذكر الكتب الذّي درسها على كل منهم و اجازاته العلمية و كان في ذلك كلّه دقيقا كلّ الدّقة ،الاّ أنّ الهدف الرئيسي للكتاب هو موضح في العنوان أي التعريف بشخصيته و ترحاله شرقا و غربا ، وهو يقوم معظمه على مزج بين التّاريخ العام و الترجمة الذّاتية ، فدخلت "هذه الترجمة من بعض نواحيها في الفن التاريخي الذّي اشتهر باسم الاعترافات، كاعتراف الغزالي في كتابه –المنقذ من الضلال- و اعترافات جان جاك روسو في كتابه –الاعترافات-"[2]

فبدى ابن خلدون مؤرخا أكثر منه رحّالة فجاءت رحلته متضمنة في تاريخه، تمشي وسياق الأحداث التّي عاشها عن قريب أم بعيد ، فكانت لهمته الأهمية الأولى والعناية العظمى.

[1] حسين محمود حسين , أدب الرّحلة عند العرب ، المرجع السابق, ص 57.
[2] عبد الواحد وافي , سلسلة أعلام العرب , مرجع سابق , ص 239.

و بهذا نفسر قلّة ما سجّله من مشاهدات الرّحالة فهو لم يكن يترّحل طلبا للرّحلة في ذاتها، و انّما تحت قسر الأحداث في الغالب[1].

بلغت ترجمة ابن خلدون لحياته حدّاً من الصّراحة و الصدق يحمد له و يشكر عليه ، فقد ذكر في هذا الكتاب –التعريف بابن خلدون و لاحلته غرباً و شرقاً- من صفاته ما يعد ذميما لدى الناس كتقلبه الدائم على أولياء نعمته و أسياده ، وهي صفة تعكس شخصية ذات طموح لا يحدّ و جرأة كبيرة كادت أن تودي به الى مشارف الهلاك عدّة مرّات .

هي شخصية –كما ورد في الكتاب- تبرهن على عبقرية فذّة جمعت بين رجل الدّولة الجرئ و الؤرخ و الفقيه و عالم الاجتماع ، فكانت بذلك شخصية نادرة لا تتكرر كثيرا في كل عصر، وان كان يتخللها بعض من مواقف الضعف و الهوان ، "فهو انسان قبل كلّ شيء حري به أن يخاف في وقت لا تساوي فيه رقبة الرجل سلّ نصاب ، و يؤخذ عليه هذا التّلون والتّقلب الذّين لم يحاول انكارهما"[2]، و ممّا يؤخذ عليه كذلك في هذا الكتاب أحذه بما كان متداولاً من أنّ الجنة هي منابع النّيل، فسّماه نهر الجنة و مدفع مياه السماء دون تحقيق أو تدقيق الّا اذا كانت عبارة أدبية محصنة ،و كذا أخذه دون تحقيق بما كان متداولا من أهل الجغرافيا عن توزيع اعتمار الأرض و أنّ المؤهول منها هو الربع و انقسامه الى سبعة أجزاء يسمونّها الأقاليم يقول :"مبتدأه من خطّ الاستواء بين المشرق و المغرب ، و هو الخطّ الذّي تسامت الشمس فيه رؤوس السكان ، الى تمام السّبعة أقاليم ، و هذا الخط في جنوب المعمور و تنتهي السّبعة أقاليم في شماله ، و ليس في جنوب خط الاستواء عمارة الى آخر الرّبع المنكشف لافراط الحرفية ، و هو يمنع من التكوين و كذلك ليس بعد الأقاليم السّبعة في جهة الشمال عمارة لافراط البرد فيها ، وهو مانع من التكوين أيضاً..."[3]

ولكن من جهة أخرى يحسب له في كتابه هذا (التعريف) محاولته التحقيق في بعض المسائل على غرار محاولته تحقيق نسبه و عدد أجداده العشرة السّابقين عليه في دخول الأندلس على أساس نظرياته في عمر الأجيال ، فقد أبدع صاحب هذا المؤلف في مجال التعريف بنفسه و كان مجليّا في ذلك ، وأورد لنا كنماذج شعرية و نثرية له و لغيره فيه.

---

[1] حسين محمود حسين أدب الرحلة عند العرب , مرجع سابق , ص 64.

[2] المرجع نفسه , ص 65-66.

[3] ابن خلدون , التعريف بابن خلدون و رحلته غرباً و شرقاً, طبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ,سنة 1951,ص 351.

أهدى ابن خلدون –وهو بالمغرب- النسخة الأولى من كتابه لأبي العباس الحفصي ملك تونس ،و هو حين رحل الى مصر أهدى نسخة أخرى الى الملك الظاهر برقوق وهي نسخة سمّاها بكتاب الظاهري "ثمّ بعث من مصر في سنة ثالثة لتوضع في خزانة المتب التي بجامع القرؤيين بفاس ،وفقا على طلبة العلم ، و كان الملك حينذاك أبا فارس عبد العزيز المريني...و لذلك قدّم الكتاب باسمه" .[1]

"و تداول المؤرخون من بعد ابن خلدون كتابه هذا ، و كانت النّسخ التّي تقع تحت أيديهم مختلفة، بعضها قديم واقع في آخر كتاب التاريخ تابع له، و هو في هذه الحالة لم يتغيّر عنوانه بعد...أمّا البقية من النسخ ، فقد كانت حديثة الصدور عن المؤلف ،عدل في عنوانها، فأصبح من بين كلماته مايصلح للدّلالة على الكتاب وهو قوله (ورحلته غرباً وشرقاً)"....[2]

وفيم يأتي سنذكر بعض نماذج من رحلته و تحدثه عن المدينة المنّورة و تاريخها منذ هجرة النّبي صلى اللّه عليه و سلّم حيث يقول:" و أمّا المدينة و هي المسّماة بيثرب فهي من بناء يثرب بن مهلائيل من العمالقة ، و ملكها بنوا اسرائيل من أيديهم فيما ملكوه من أرض الحجاز ، ثمّ جاورهم بنو قيلة من غسان و غلبوهم عليها و على حصونها .ثمّ أمر النّبي صلى اللّه عليه و سلّم بالهجرة اليها لما سبق من عناية اللّه بها فهاجر اليها و معه أبو بكر وتبعه أصحابه و نزل بها وبنى مسجده و بيوته في الموضع الذّي كان اللّه قد أعدّه لذلك وشرفه في سابق أزله و أواه أبناء قيلة و نصروه فلذلك سمّوه الأنصار، وتمّت كلمة الاسلام من المدينة حتى علت على الكلمات و غلب على قومه و فتح مكة[3] وملكها و ظنّ الأنصار أنّه يتّحول عنهم الى بلده فأهّمهم ذلك، فخاطبهم رسول اللّه صلى اللّلّه عليه وسلّم وأخبرهم أنّه غير متخول حتى اذا قبض صلى اللّه عليه و سلّم كان ملحده الشريف بها وجاء في فضلها من الأحاديث الصّحيحة مالا خفاء به ووقع الخلاف بين العلماء في تفضيلها على مكة "[4].

وفي أوائل سنة 802 هـ أرّق ابن خلدون الحنين الى التّجوال ، فسافر الى فلسطين وزار بيت المقدس و المسجد الأقصى أولى القبلتين، و يقول عن هذه الرّحلة:" وصلت الى القدس

---

[1] محمد بن تاويت الطّنجي , رحلة ابن خلدون , دار الكتب العلمية , بيروت, لبنان, ط1 , 2004 م/1425هـ, ص 19.

[2] المرجع نفسه, ص 19-20.

[3] عبد الرّحمن بن خلدون,مقدمة ابن خلدون ,تحقيق عبد السلام الشدادي ,بيت الفنون و الآداب,ص 70.

[4] المصدر نفسه , ص 70.

ودخلت المسجد، وتبركت بزيارته و الصلاة فيه و تعفّفت عن الدخول الى القماة –كنيسة القيامة-لما فيها من الاشادة بتكذيب القرآن، إذ هو بناء أمم النصرانية على مكان الصليب بزعمهم، فنكرته نفسي و نكرت الدخول اليه و قضيت من سنن الزّيارة و نافلتها ما يجب ، و انصرفت الى مدفن الخليل عليه السلاّم، ومرّرت في طريقي اليه بيت لحم و هو بناء عظيم على موضع ميلاد المسيح ، شيّدت القياصرة عليه بناء سيماطين من العمد الصخور، منجدة مصطفة ، مرقوما على رؤوسها صور ملوك القياصرة و تواريخ دولهم ميّسّرة لمن يبتغي تحقيق نقلها بالتراجمة العارفين لأوضاعها.."[1].

"التعريف بابن خلدون و رحلته غرباً و شرقاً"كتاب ارتكز أو ركّز فيه صاحبه على استعراض سيرته الذاتية فكان ترجمة لحياته في المحّل الأول ، بينما شغلت رحلته المحل الثاني في الأهمية ، و مع ذلك فالكتاب يتضمن نصاً جيّداً في أدب الرّحلة العربي، اذ تعدّدت و تنّوعت و كثرت مخاطرها ،و لم تخل من الملاحظات الذكية التّي لا تكاد تعثر عليها لدى غير هذه الشخصية الطموحة الوثابة.

ولاستجلاء و استكناه خبايا هذا الكتاب و معانيه كان لابد لنا من دراسة البنية الفنية له فكل نص ينبني على مجموعة من الخصائص و البنيات التّي تشكل معماريته، وهي تختلف من نص لآخر تبعاً لاختلاف طبيعة النص و رؤية صاحبه .

و البناء العام للنص يشكل بلا شك أحد العناصر الأساسية التّي تكوّن النّصوص الأدبية السردية بما تحمله من أبعاد دلالية و رمزية يعتني المبدع في نسجها وهيكلتها أيّما اعتناء[2]، فقصد معرفة الوظائف الدّاخلية التّي تمارسها عناصر البنية و التّي بحركتها ينبني النّص ركّز البنيويّون في جلّ أبحاثهم على الجانب البنائي ف " ليس نوع الخطاب هو الذّي يحقق اللّذة الفنية، وانّما الخطاب في حدّ ذاته بمقوماته الفنية وبنائه الدّاخلي بغض النظر عن نوعه وشكله "[3]، و تأكيدا لهذا المعنى يقول العبيدي " البناء الفني في العمل الأدبي يشكل أساسا تشكيليّاً و جماليّاً من أسس العمل، فلا عمل فنّي بلا بناء فنّي، وكل عمل فنّي له

[1] ابن خلدون, التعريف بابن خلدون في آخر كتاب العبر , مرجع سابق , ص 349-350.
[2] عرب الشعبة(نجاة): خصائص البناء النصي في كليلة و دمنة, مجلة الموقف الأدبي, اتخاذ الكتاب العرب , دمشق سوريا, ع 396, نيسان , سنة 2004, ص 04.
[3] مصطفى البشير قط, مفهوم النثر الفنّي و أجناسه في النقد العربي القديم , دار البازوري, الأردن سنة 2009 , ص 42.

خصوصية بنائية معيّنة و مجدّدة تتلائم و طبيعة هذا العمل بحيث انّ مفهوم البناء على هذا المستوى يعدّ حجر الأساس في هيكلة العمل الفنّي "[1] .

بما أنّ النّص الرّحلي "ينهض على عناصر تشيّد معماره الفنّي و تصقل خطابه من آثار الشفوي و بصمات التجربة ومسافة إدراكها وإدراك التقاطعات المتنوعة التّي اكسبت النّص تلوينات شتّى تحوّلت و انتقلت ساخنة الى دفء المكتوب وسط أشكال غنية "[2]، ففي مايلي تركيز على الجانب الفنّي للرّحلة من وصف وأسلوب و منهج مبيّن لطريقة تدوين الرّحلة ، هي بعض الجوانب التّي سنوّضحها فيما يأتي من رحلة ابن خلدون الموسومة ب –التعريف بابن خلدون و رحلته غرباً و شرقاً-

[1] سلمان علوان العبيدي , البناء الفنّي في القصيدة الجديدة , عالم الحديث , الأردن , ط1, سنة 2011, ص 09.

[2] شعيب الحليفي, الرحلة في الأدب العربي ،ص 280.

المبحث الثالث : البناء الفنّي للرّحلة

- **المنهج :**

تقيّد ابن خلدون بسوق الأحداث و قصّها ، لأنّه يؤرخ حياته بما فيها من أحداث وتفاصيل تارة و تارة أخرى يؤرخ لحياة الدّول التّي اتصل بها ، و" برغم ما يمكن في هذا السرد من تدقيق و تحقيق فانّ مادته لا تجف بين يدي صانعها، فهو يطعمها بكثير من الأخبار الأدبية فيذكر ـبعض الرسائل و الأشعار و الأخبار التّي ترده برغم خروجها عن غرض الكتاب في التعريف بالمؤلف"[1] لأنّه يرى أنّ فيها تحقيقاً و تأكيد الـبعض الحوادث المذكورة في أماكنها من الكتاب.

[1] حسين محمود حسين ، أدب الرّحلة عند العرب , مرجع سابق ، ص 62.

و يلجأ ابن خلدون في بعض الأحيان الى تلخيص الأحداث المهمّة في بداية كتابه مرحلة جديدة بعد أن يكون استطراد قد باعد بين الأحداث أو فصل بين حلقات تسلسلها فهو يقول في نهاية ذكر نشأته و مشيخته و حاله "هذا ذكر ما حضرنا من جملة السّلطان أبي الحسن ،من أشياخنا، و أصحابنا ، وليس موضوع الكتاب الاطالة فلنقتصر على هذا القدر، ونرجع الى ماكنا فيه من أخبار المؤلف"[1]، دليلا على أنّ الهدف الأوّل من هذا المؤلف كان التعريف بصاحبه و ترجمة حياته ليدخل بعدها الى بداية التاريخ لولايته على تونس والرّحلة بعدها الى المغرب و الكتابة عن السلطان ابي عنان .و نظراً لتقديره لقيمة الحضارة الانسانية وصلتها بالتاريخ نراه يذهب أحياناً الى مقدّمة تاريخه في مطلع بعض أجزاء كتابه كما فعل عند حديثه عن فتنة النّاصري اذ يسوق الخبر عنها بعد تقديمه كلاماً في أحوال الدّول ، فيخبرنا على أسرار في تغيّر الأحوال الدّول بالتدرج الى الازدهار و أوج التقدم و الاستيلاء ثمّ الضعف و التلاشي و الاضمحلال .مدرجاً نظريته المشهورة في قيام الدّولة و اضمحلالها ،قوله "و ذلك أنّ الدّولة الكليّة و هي التّي تتعاقب فيها الملوك واحداً بعد واحد في مدّة طويلة،قائمين على ذلك بعصبية النسب أو الولاء ، و هذا كان الأصل في استيلائهم و تغلبهم ، فلا يزالون كذلك على انقراضهم ، وغلب مستحقين آخرين ينزعونه من أيديها بالعصبية التّي يقتدرون بها على ذلك ، و يحوزون الأعمال التّي كانت بأيدي الدّولة الأولى يفضون جبايتها بينهم على تفاضل البأس و الرّجولة و الكثرة في العصابة أو القلّة ...ثمّ تنمو الثروة فيهم بنمو الجباية التّي ملكوها و يزّيّن حبّ الشهوات للاقتدار عليها فيعظم التّرف في الملابس و المطاعم و المساكن و المراكب و الممالك و سائر الأحوال ..ثم انّ البأس يقل من أهل الدّولة بما ذهب لهم من الخشونة و ماصاروا اليه من رقّة الحاشية و التّنعم فيتطاول من بقي من رؤساء الدّولة الى الاستبداد بها غيرة عليها من الخلل الواقع بها ، ويستعد لذلك بما بقي عنده من الخشونة ، و يحملهم على الاقلاع عن التّرف و يستأنف لذلك العصابة بعشيرة أو بمن يدعوه لذلك فيستولي على الدّولة و يأخذ في دوائها من الخلل الواقع و هو أحق النّاس به و أقّر بهم اليه فيصير الملك له و في عشيره و تصير كأنّها دولة أخرى تمرّ عليها الأوقات و يقع فيها ما وقع في الأولى فيستولي آخر منهم كذلك الى أن تنقرض الدّولة بأسيرها و تخرج عن القوم الأولين أجمع وتأتي دولة أخرى مباينة لعصاية هؤلاء في

[1] محمد بن تاويت الطنجي، رحلة ابن خلدون، مرجع سابق ، ص 64.

النّسب أو الولاء سنّة اللّه في عباده"[1].

و كما فعل أيضاً في حديثه عن سفر السلطان الناصر فرج من مصر الى الشام لمدافعة التّتر فيقول "هؤلاء الطّطر من شعوب التّرك، و فد اتفق النسابة و المؤرخون على أنّ أكثر أمم العالم فرقتان و هما : العرب و التّرك و ليس في العالم أمّة أو فر منهما عددا هؤلاء في جنوب الأرض و هؤلاء في شمالها،ومازالو يتناولون الملك في العالم فتارة يملك العرب و يزحلون الأعاجم الى آخر الشمال و أخرى يزحلهم الأعاجم و التّرك الى طرف الجنوب سنّة اللّه في عباده"[2].

فقد ذكر كيف انساق الملك لهؤلاء التّتر و استقرت الدّولة الاسلامية فيهم لذاك العهد ، فأفرق في سياحة تاريخية عاد خلالها الى البدء الخليقة و اعتمار اللّه الأرض بأصناف البشر "...ثمّ انّ هذه السبعة الأقاليم المعمورة تتقسم من شقّيها و غربيها بنصفين : فنصفها الغربي في وسطه البحر الرّومّي و في النصف الشّرقي من جانبه الجنوبي البحر الهندي و كان هذا النصف الغربي أقل عمارة من النّصف الشّرقي ..و اتفق النّسابون على أنّ النسل كلّه منحصر في بني نوح و في ثلاثة من ولده و هم سام و حام و يافث فمن سام: العرب و العبرانيّون و السّبائيون و من حام : القبط و الكنعانيون و البربر و السّردان و من يافث : التّرك و الرّوم و الخزر و الفرس و الدّيلم و الجيل..و نازع التّرك ملوك فارس في خرسان و ماوراء النّهر و كانت بينهم حروب مشهورة و استقر ملكهم في بني أفراسياب ثمّظهر خاتم الأنبيّاء محمد صلوات اللّه عليه و جمع العرب على كلمة الاسلام فاجتمعوا له ***"لَوْ أَنفَقْتَ مَا في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم و لكنّ اللّه ألّف بينهم-[3]*** ..."[4]

[1] محمد بن تاويت الطنجي ،رحلة ابن خلدون، مرجع سابق، ص 246،247.
[2] المرجع نفسه ،ص 275.
[3] القرآن الكريم، سورة الأنفال ، الآية 63.
[4] محمد بن تاويت الطنجي ، رحلة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص 277،278،279.

"و الكتاب بأجمعه فيما عدا هذه الاستطرادات يختلط فيه التاريخ العام للدّول التّي تحدث عنها ابن خلدون و تاريخ حياته الشخصية و يمتزج التّاريخان في كثير من الأحداث و يتعانقان كلّا واحدا في حياة الدّول و حياة الرّجل ، فقد كان رجل دولة و صانع حكومات"[1].

- **اللّغة و الأسلوب:**

يذهب الكتاب و المؤلفون و المبدعون و منهم الرّحالة من أجل ترجمة أفكارهم و مقاصدهم التّي ينشدونها الى اللّغة للتعبير عن تلكم الأخيرة ، لذا كانت المعبر الذّي ينتقل عبره كل ما تصّوره عدسته من مشاهد رأوها أو سمعوا عنها للمتلقي ليشاركه تلك الصّوركما و لو أنّه عاشها هو نفسه.

"لأنّ الهدف من تدوين الرّحلات هوالوصول الى حقيقة الانسان ووضعه في الكون و نجاح الكاتب مرهون بتوضيح هذا الجانب كما يراه"[2]، ومعنى هذا أنّ الرّحالة متى استطاع أن يتحرى الصّدق في عرض مشاهداته فانّ ذلك يجعلها أكثر واقعية و هو منطبق على رحلة ابن خلدون .

ولهذا فانّ "البناء المنطقي خير وسيلة لتحقيق الهدف و هذا البناء يبدأ من الوحدات الصغيرة المثمثلة في الكلمة أو اللّفظة و العبارة و ينتهي الى الرّوح العام كلّه يشمله و يربط بين أجزاءه و يسدّ ثغراته"[3].

[1] حسين محمود حسين، أدب الرّحلة عند العرب، مرجع سابق، ص 63.
[2] عبد الرزاق الموافي ، الرّحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري،مرجع سابق ،ص 75.
[3] المرجع نفسه ، ص 75.

انّ القارئ لرحلة ابن خلدون يجد أنّ ألفاظها جاءت سهلة واضحة بعيدة عن التعقيد و الغرابة و التّكلف أو الصّنعة ، فلم يخرج ابن خلدون الاّ نادراً عمّا هو معروف عن من أنّه من كبار أئمة الأدب و أعلام البيان العربي و من أبرز المجدّدين في أسلوب الكتابة العربية ، فقد تمّرد على أسلوب الكتابة النثرية الذّي كان سائداً في عصره ، وكانت تكّبله قيود السّجع و المحسنّات البديعية و أحيا أسلوب العربية الأصيل في عهودها الذّهبية السابقة كما وصل على يد عبد الحميد الكاتب في عصر الأمويين و على يد الجاحظ في العصر العباسي هذا الأسلوب الذّي تميّز بالسهولة و الوضوح بعيداً كلّ البعد عن الابهام و الغموض و دقّة التعبير و قوّة التدليل و الترابط، وحسن الأداء و التناسق اذ يعني بتوضيح المعنى أكثر من عنايته بتزويق اللّفظ ، ويشير ابن خلدون نفسه الى هذا الأسلوب و تفّرده فيه بين سائر كتاب عهده فيقول في كتابه للرسائل :" .. و كان أكثرها يصدر عنّي بالكلام المرسل ..فانفردت به يومئذ، و كان مستغرباً عندهم بين أهل الصناعة"[1]. كما أنّ القارئ لنص الرّحلة يلقى أنّ صاحبها لم يول عناية كبيرة للمحسّنات البديعية و الصّور البيّانية و لا غرابة في ذلك لأنّ حرص ابن خلدون على اظهار الحقائق كما يراها و شهدها أغناه عن الاهتمام بالزينة اللّفظية التّي تحجبها عن المتلقي فقد حاول الوصول الى هدفه من أقصر الطرق فحاول التخلّص من سيطرة المحسنات البديعية و الصور البيانية لايمانه هو نفسه و هو القائل بأنّ "التكلّف فيها و معاناتها يصير الغفلة عن التراكيب الأصلية للكلام فلا يبقى فيه تلك التحسينات"[2] وقد طغى هذا الأسلوب على المؤلف في هذا الكتاب كما في سائر كتبه الآّفي مواطن قليلة جارى فيها مكرها الأسلوب المسّجع الرّكيك في بعض قطع قصيرة من رسائله الى صديقه لسان الدّين بن الخطيب مجاملة له في أسلوبه مع اعترافه بقصوره عنه في ذلك بقوله فيه :"و كان الوزير ابن الخطيب آية من آيات اللّه في النظم و النّثر و المعارف و الأدب لا يساجل مداه و لا يهتدي فيها بمثل هداه"[3]، أو كما في قوله كذلك واصفاً أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الشريف الحسني :"و منهم صاحبنا الامام العالم الفذّ فارس المعقول و

[1] ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ،مصدر سابق ،ص 70.
[2] ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص 131.
[3] حسين محمود حسين ، أدب الرّحلة عند العرب ، مرجع سابق ، ص64، ينظر من نماذج سجع ابن خلدون ،ص 91.

المنقول صاحب الفروع و الأصول أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الشريف الحسني.."[1]، و قوله كذلك عن نفس الشخص "..و اختص بأولاد الامام و تفقّه عليهما في الفقه و الأصول و الكلام .."[2].

ولم تزد عن ذلك الاّ قليلاً ، فمن الصور البيانية التّي وردت قوله "...و تفجّرت ينابيع العلوم من مداركه ، ثمّ ارتحل الى تونس في بعض مذاهبه.."[3] و هي استعارة مكنية دالة على سعة علم أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الشريف الحسني ..... ومن المترادفات قوله "و قرّبني و أدناني"[4]، و من السّجع نذكر قوله " ودفعوا شرذمة كانت مجمرة ازاءهم ، فاقتلعوا خبائهم"[5].

أمّا اذا تأملنا الجمل التّي كتب بها هذا النص الرّحلي وجدناها سهلة مألوفة و دقيقة ركّزت على الأفعال لاتفاقها و طبيعة الرّحلة لاتسامها بالحركة المتتالية لذا امتاز الأسلوب بالتلقائية و الاسترسال ووضوح المعاني فقد كان للأفعال دور كبير في بيان دلالات الرّحلة .

فمن أهم الخصائص البنيّوية التّي يلتقي و ايّاها القارئ لنص الرّحلة هذا هو شيوع الجمل الفعلية و هي ظاهرة كثيراً ما يعتمدها الرّحالة.

[1] حسين محمود حسين ، أدب الرحلة عند العرب ، مرجع سابق ، ص 69.
[2] نفسه ص 70.
[3] نفسه ، ص 70.
[4] نفسه، ص 72.
[5] نفسه ص 98.

والسبب وراء هذا التدفق الهائل و التواتر المرتفع للجمل الفعلية يعود الى الحركة التّي تعم عالم الخلق الأدبي في هذا النّص ، حركة يفرضها النّص نفسه، وهو ما يؤكده الباحث نواري سعودي أبو زيد في كتابه جدلية الحركة و السكون بقوله " تبدو عبقرية المبدع في استخدام صيغ الأفعال جليّة للدلالة على معان مخصوصة في أزمة معلومة محدّدة مرادة ،و لعل أبرز ما يلوح للدّارس في هذا المقام هو ايحاء الأفعال بمعاني التّحول و الانقلاب .."[1] ، الـأمر الذّي يتفق و رحلة ابن خلدون التّي تفيض بالحيوية و السكون.

و ممّا يلاحظ على أسلوب ابن خلدون في نص الرّحلة أخذه عن القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف كذكره للحديث النبوي قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم:"من قضيت له من حق أخيه شيئاً فانّما أقضي له من النّار"وكان ذلك عندما ثكاتر عليه القوم عند رحلته الى المشرق وولايته القضاء بمصر.

- **الحوار**:

يعّد الحوار من أهم العناصر التّي يجب أن يزّود بها الرّحالة عمله،فهو يتيح الفرصة للشخصيات لتظهر ظهوراً حرّاً، فتعّبر عن نفسها بنفسها،كما أنّ الحوار يؤكّد السّمة الأدبية لكتب الرّحلات، و من الباحثين من يؤكد على ضرورة وجود حوارفي الرّحلات كقول ناصر عبد الرزاق الموافي "انّ الحوار يعّد عامل انقاذ و ايقاظ، انقاذ للعمل الأدبي من التّردي في شرك الذاتية المسرقة أو الاستطراد فيما لا يفيد ، و ايقاظ للقارئ و تنشيط لذهنه لمّا يتضمنه الحوار من حيّوية و فكر متعارض أو جدل يستلزم الانتباه"[2] ..... وعليه فانّنا نلمس للحوار وجوداً في رحلة ابن خلدون في بعض المواقف تأكيداً للصبغة الأدبية لها و تقريباً لها أكثر من الواقع و للمتلقي ومن ذلك مادار بين ابن خلدون و أبو عبد اللّه المقري "سألت صاحبنا قاضي الجماعة بفاس ، وكبير العلماء بالمغرب أبا عبد اللّه المقري مقدمه من الحجّ سنة أربغين ، فقلت له : كيف هذه القاهرة ؟ فقال : من لم يرها لم يعرف عزّ الاسلام. وسألت شيخنا أبا العبّاس بن ادريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال : كأنّما انطلق أهله من الحساب ، يشير الى كثرة أممه وأمنهم العواقب"[3].

---

[1] أبو زيد نواري سعودي،جدليّة الحركةو السكون ، عالم الكتب الحديثة، الأردن ،ط 1، 2011،ص 65.

[2] ناصر عبد الرزاق الموافي،الرّحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري،مرجع سابق، ص 79.

[3] محمد بن تاويت الطنجي ، رحلة ابن خلدون، مرجع سابق ، ص200.

هذا و قد تضمنت رحلة ابن خلدون عدداً كبيراً من الأشعار له و لغيره،و لا غرابة في ذلك لأنّ " الشعر له وجود ملحوظ في معظم الرّحلات حتّى أنّه يعدّ من محكيات الرّحلة مثله مثل الأحاديث و الأخبار و المشاهدات و القضايا اللّغوية و غيرها"[1].

ومن شعره نذكر مراسلته للسلطان أبي العباس بتونس بعد أن انصرف عنه من معسكره على سوسة و بلغه أنّه أصابه مرض في طريقه و عقبه بلال فخاطبه قائلاً:

"ضحكت وجوه الدّهر بعد عبوس ♦♦ و تجلّلتها رحمة من بؤس

وتوضّحت عزر البشائر بعدما ♦♦ انبهمت فأطلعا حداة العيس

صدعوا بها ليل الهموم كأنما ♦♦ صدعوا الظلام بجذوة المقبوس

فكأنّهم بثوا حياة في الورى ♦♦ نشرت لها الآمال من مرموس

قرّت عيون الخلق منها بالّتي ♦♦ أضفت من النعماء خير لبوس

فكأنّ قومي نادمتهم قرقف ♦♦ شربوا النعيم لها بغير كؤوس

من راكب وافي يحيى راكبا ♦♦ و جلس أنس قادة لجليس

و مشفع لله يؤنس عنده ♦♦ أثر الهدى في المعهد المأنوس

يعتّد منها رحمة قدسية ♦♦ فيبوء للرّحمن بالتقديس

طب باخلاص الدعاء و انّه ♦♦ يشفي من الداء العياء و يوسي" [2]

الى آخر ذلك من أبيات يصف فيها بسالة و شجاعة ابن العباس و كيف أنّه باستطاعته التغلب على مرضه و القضاء عليه.

[1] عبد الرحمن نوال الشوابكة، أدب الرّحلات الأندلسية و المغربية حتّى نهاية القرن التاسع الهجري ، مرجع سابق ، ص 276.

[2] محمد بن تاويت الطنجي ، رحلة ابن خلدون ، مرجع سابق، ص 196.

الوصف: استولت شخصية المؤرخ العلمية على ادراك ابن خلدون و ذهنه في هذا المؤلف و أخمدت ملكة الوصف الجغرافي لديه فلم يتطرق في هذا الأخير الاّ ماقاله في وصف القاهرة "..رأيت حضرة الدنيا و بستان العالم، و محشر الأمم و مدرج الذرّ من البشر و ايوان الاسلام و كرسي الملك تلوح القصور و الأواوين في جوّة و تزهر الخوانك و المدارس بآفاقه و تضيء البدور و الكواكب من علمائه و قد مثل بشاطئ بحر النيل نهر الجنّة ، و مدفع مياه السماء ، يسقيهم النّهل و العلل سبحه، و يجيء اليهم الثمرات و الخيرات ثجة و مررت في سكك المدينة بغضّ بزحام المارّة و أسواقها تزخم بالنّعم . وما زلنا نحدث عن هذا البلد ،وبعد مداه في العمران و اتساع الأحوال"[1]. كما ذكر أقوال بعض شيوخه و أصحابه عنها ، فما هو يذكر أنّ أبو عبد الله المقري يقول له و قد مرّ بها عائداً من الحجّ"من لم يرها لم يعرف عزّ الاسلام"، و أبو العباس بن ادريس يقول له فيها" كأنّما انطلق أهله من الحساب" مشيراً بذلك الى كثرة أممه و أمنهم العواقب ، و ينقل عن أبي القاسم البرجي في ذلك قوله " انّ الذّي يتخيله الانسان فانّما يراه دون الصورة التّي تخيّلها لاتساع الخيال عن كلّ محسوس، الاّ القاهرة فانّها أوسع من كلّ ما يتخيّل فيها"[2].كما سيطرت شخصية المؤرخ بتحقيقه و تدقيقه على ابن خلدون في وصفه للأشخاص فقد تناول الحدبث عن مشايخه صفاتهم و مناقبهم و علمهم و كتبهم" وأبرز وصف سجّله ماقاله في تيمورلنك بعد أن كان لقيه في دمشق ، وهو وصف ينم عن جوانب اهتمامه و تحقيقه يقول ابن خلدون في ذلك –و هذا الملك(تمر) من زعماء الملوك و فراعنتهم ، و الناس ينسبونه الى العلم ، و آخرون الى اعتقاد الرّفض ، لمّا يرون من تفضيله لأهل البيت ، وآخرون الى انتحال السحر ، وليس من ذلك كلّه في شيء ، انّما هو شديد الفطنة و الذكاء ، كثير البحث و اللّحاح بما يعلم و بما لا يعلم عمره بين الستّين و السّبعين و ركبته اليمنى عاطلة من سهم أصابه في الغارة أيّام صباه، على ما أخبرني فيجرّها في قريب المشي و يتناول الرّحال على الأيدي عند طول المسافة و هو مصنوع له و الملك للّه يعطيه من يشاء من عباده"[3]و فيما عدا ذلك فلا نراه يتّعرض لوصف ذي بال، فها هو يحجّ و لا يذكر من رحلته شيئاً عدا طريق الذهاب و الأوبة فيقول" ثمّ مكثت بعد العزل ثلاث سنين و اعتزمت على قضاء

[1] ابن خلدون ، التعريف، مرجع سابق، ص 246-247.
[2] ابن خلدون ، التعريف ، مصدرسابق ، ص 247-248.
[3] ينظر المصدر نفسه ، ص 350.

الفريضة فودّعت السّلطان و الأمراء ، و زوّدوا و أعانوا فوق الكفاية و خرجت من القاهرة منتصف رمضان سنة تسع و ثمانين الى مرسى الطور بالجانب الشرقي من بحر السويس و ركبت البحر من هنالك الى مكة و دخلتها ثاني ذي الحّجة فقضيت الفريضة في هذه السنة ثمّ عدت الى الينبع فأقمت به خمسين ليلة ختّى تهيّأ لنا الركوب البحر"[1].و هاهو يسافر الى فلسطين في عام 802 هـ--ويزور بيت المقدس- و مدينة الخليل ثمّ بيت لحم و لا يزيد عن قوله واصفاً ذلك " وصلت القدس و دخلت المسجد و تبركت بزيارته و الصلاة فيه و تعففت عن الدخول الى القمامة لما فيها من الاشادة بتكذيب القرآن اذ هو بناء أمم النصرانية على مكان الصليب بزعمهم فنكرته نفسي و نكرت الدخول اليه و قضيت من سنّن الزيارة و نافلتها ما يجب و انصرفت الى مدفن الخليل عليه السلّام و مرّرت في طريقي اليه ببيت لحم و هو بناء عظيم على موضع ميلاد المسيح شيّدت القياصرة عليه بناء بسماطين من العمد الصخور منجدة و مصطنعة مرقوما على رؤوسها صور لملوك[2] القياصرة و تواريخ دولهم ميّسر لمن يبتغي تحقيق نقلها بالتراجمة العارفين لأوضاعها و لقد يشهد هذا المصنع بعظم ملك القياصرة و ضخامة دولتهم"[3].و كما خمد الوصف الجغرافي لرحلته فقد أظهر ابن خلدون على ما يبدو أنّ الحياة الاجتماعية لم تكن محطّ اهتمامه فلم نجد لديه أيّ ذكر لها "الاّ بما يتّضمن سرده للأحداث التّي تمر بها في حياته و مع ذلك فقد أجاد الحديث في فساد القضاة و خراب ذمم الكتاب و المفتين في مصر و في محاولاته اصلاح الأمر "[4]،يقول في ذلك مطنباً الحديث" فقد كان البر منهم مختلطاً بالفاجر و الطيب ملتبسا بالخبيث و الحكام ممسكون عن انتقادهم متجاوزين عمّا يظهرون عليه من هنائهم لما يهومون به من الاعتصام بأهل الشوكة فانّ غالبهم مختلطون بالأمراء معلمين للقرآن و أئمة الصلوات يلبسون عليهم العدالة فيظنون بهم الخير و يقسمون لهم الحط من الجته بتزكيتهم عند القضاة و التوسل لهم فأعضل داؤهم و فشت المفاسد بالتزوير و التدليس بين النّاس منهم ،ووقفت على بعضها فعاقبت فيه بموجع العقاب و مؤلم النكال وكان منهم كتاب الدواوين القضاة و التوقيع في مجالسهم..و استخدموا للأمراء فيما يعرض لهم من العقود باحكام

[1] محمد بن تاويت الطنجي ، رحلة ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص 209.
[2] ابن خلدون ، التعريف، مصدر سابق، ص 350.
[3] المصدر نفسه، ص 350.
[4] حسين محمود حسين، أدب الرّحلة عند العرب، مرجع سابق، ص 59.

كتابها و توثيق شروطها فصار لهم بذلك شغوف على أهل طبقتهم وتمويه على القضاة بجاهم، يدرعون به ممّا يتّوقعونه من عتبهم..و فشا في ذلك الضرر في الأوقاف و طرق الغرر في العقود و الأملاك فعاملت الله في حسم ذلك بما آسفهم عليّ وأحقدهم"[1].و القارئ لنص الرّحلة يستشفي من خلالها ضمور أحاسيس ابن خلدون الى درجة أنّه بدا قاسياً الى حد كبير خالي الوجدان من أيّة مشاعر انسانية في بعض المواقف التّي تستدعي ذلك.خاصة في أحاديثه عن الطاعون الذّي جرف آلاف الناس و أودى بحياة كثير من مشيخته و الأدهى من ذلك أبويه عام 749فنجده لا يزيد عن قول" لم أزل منذ نشأتي و ناهزت مكبّاً على تحصيل العلم ، حرياً على اقتناء الفضائل متنقلاً بين دروس العلم و حلقاته الى أن كان الطاعون الجارف و ذهب بالأعيان و الصّدور و جميع المشيخة وهلك أبويّ رحمهما الله" [2]، وقوله وهو يتحسّر على أستاذه ابن عبد المهيمن هو الآخر جراء الطاعون فلا يقول أكثر من " ثمّ جاء الطاعون الجارف فطوى البساط بما فيه و هلك عبد المهيمن فيمن هلك و دفن بمقبرة سلفتا بتونس لخلّة كانت بينه و بين والدي رحمه الله أيّام قدومهم علينا"[3]، أو ذكره هلاك زوجه و بناته في بحر الاسكندرية في مركب غرق بهم بعد أن استقدمهم من تونس بشفاعة سلطان مصر في شأنهم عند سلطان تونس و هو يذكر هذه المصاب الجلّل في مناسبات ثلاث لا يزيد قوله فيها عن"...فما هو الّا أن وصلوا مرسالاسكندرية فعصفت بهم الريّاح و غرق المركب بمن فيه و مافيه ، وذهب الموجود والمولود فعظم الأسف واختلط الفكر"[4] وكذا قوله في موضع آخر عن غرقهم"..و عظم الأسف و حسن العزاء والله قادر على ما يشاء" [5]أمّا المرة الثالثة و كانت قد كثرت عليه الهموم و كثر عليه الشغب بمناصبه العداء من قبل أهل الدّولة في مصر حتّى اضطر الى التّخلي عن منصب القضاء فيقول"..فكثر الشغب عليّ من كل جانب، وأظلمّ الجّو بيني وبين أهل الدّولة ووافق ذلك مصابي بالأهل والولد، وصلوا من المغرب في السفين (كذا) فأصابهم قاصف من الرّيح فغرقت وذهب الموجود والسكن والمولود، فعظم المصاب والجزع ورجع الزهد واعتزمت

[1] ابن خلدون ، التعريف، مصدرسابق، ص 255-259.
[2] المصدر نفسه، ، ص 55.
[3] المصدر نفسه، ص 27.
[4] المصدر نفسه، ص 285.
[5] المصدر نفسه، ص 311.

على الخروج من المنصب".[1]

وعلى الرغم من هذا أو ذاك الاّ أنّه و في بعض المرّات يغلب على ابن خلدون –رجل الدّولة – الضعف الانساني فيهيج شوقه لأهله وولده منتجاً لمسات انسانية حانية "من العملاق المنهار"[2]، ومن أمثلة ذلك ما نظمه مخاطباً أبا عنان لاطلاق سراحه.

نقتطف من أبياتها المائتين قوله:

"و انّي على حكم الحوادث نازل تسالمني طوراً و طوراً تحارب

سلوتهم الا ادكار معاهد لها في اللّيالي الغابرات غرائب

و أنّ نسيم الريّح منهم يشوقني اليهم و تصيبني البروق اللّواغب "[3]

كما عرض ابن خلدون بعض قدراته الأدبية في بعض القصائد و الأشعار و الرسائل النثرية التّي "أوردها في كتابه بمناسبات مديح أو تشفع لدى بعض السلاطين أو وزرائهم ممّا يدّل على تحّليه بملكة أدبية عرضها في هذا الكتاب الى جانب ما عرض من قدرته في التأريخ الخاصة".[4]

و ممّا مضى ذكره بعض من فنيّات التّي بنى بها ابن خلدون رحلته و تميّز بها عن سائر نظراء عصره فلمع شأنه و ذاع صيته و أثبث مكانته و مستواه تاركاً لنا هذا المؤلف – النثري- الذّي جمع فيه بين قصة حياته و سيرته الذاتية و بين تنقلاته في مشارق الأرض و مغاربها مطعّماً ايّاه بكثير من الأخبار الأدبية و التاريخية عن حياة الدّول التّي ارتبط بها ليضع لنا مؤلفاً بديعيا في أدب الرّحلة جنباً الى جنب مع مؤّلف في التاريخ.

[1] ابن خلدون، التعريف، المصدر سابق ،ص 259.
[2] حسين محمود حسن، أدب الرّحلة عند العرب ، مرجع سابق ، ص 61.
[3] ابن خلدون ، التعريف، مصدرنفسه، ص 67.
[4] حسين محمود حسن، أدب الرّحلة عند العرب، مرجع نفسه، ص 62.

المبحث الثالث : البناء الفنّي للرّحلة

- **المنهج :**

تقيّد ابن خلدون بسوق الأحداث و قصّها ، لأنّه يؤرخ حياته بما فيها من أحداث و تفاصيل تارة و تارة أخرى يؤرخ لحياة الدّول التّي اتصل بها ، و" برغم ما يمكن في هذا السرد من تدقيق و تحقيق فانّ مادته لا تجف بين يدي صانعها، فهو يطعمها بكثير من الأخبار الأدبية فيذكر ـبعض الرسائل و الأشعار و الأخبار التّي ترده برغم خروجها عن غرض الكتاب في التعريف بالمؤلف"[1] لأنّه يرى أنّ فيها تحقيقاً و تأكيد البعض الحوادث المذكورة في أماكنها من الكتاب.

و يلجأ ابن خلدون في بعض الأحيان الى تلخيص الأحداث المهمّة في بداية كتابه مرحلة جديدة بعد أن يكون استطراد قد باعد بين الأحداث أو فصل بين حلقات تسلسلها فهو يقول في نهاية ذكر نشأته و مشيخته و حاله "هذا ذكر ما حضرنا من جملة السّلطان أبي الحسن ،من أشياخنا ، و أصحابنا ، وليس موضوع الكتاب الاطالة فلنقتصر على هذا القدر ، ونرجع الى ماكنا فيه من أخبار المؤلف"[2]، دليلا على أنّ الهدف الأوّل من هذا المؤلف كان التعريف بصاحبه و ترجمة حياته ليدخل بعدها الى بداية التاريخ لولايته على تونس و الرّحلة بعدها الى المغرب و الكتابة عن السلطان ابي عنان .

[1] حسين محمود حسين ، أدب الرّحلة عند العرب , مرجع سابق ، ص 62.
[2] محمد بن تاويت الطنجي، رحلة ابن خلدون، مرجع سابق ، ص 64.

و نظراً لتقديره لقيمة الحضارة الانسانية وصلتها بالتاريخ نراه يذهب أحياناً الى مقدّمة تاريخه في مطلع بعض أجزاء كتابه كما فعل عند حديثه عن فتنة النّاصري اذ يسوق الخبر عنها بعد تقديمه كلاماً في أحوال الدّول ، فيخبرنا على أسرار في تغيّر الأحوال الدّول بالتدرج الى الازدهار و أوج التقدم و الاستيلاء ثمّ الضعف و التلاشي و الاضمحلال .مدرجاً نظريته المشهورة في قيام الدّولة و اضمحلالها ،قوله "و ذلك أنّ الدّولة الكليّة و هي التّي تتعاقب فيها الملوك واحداً بعد واحد في مدّة طويلة،قائمين على ذلك بعصبية النسب أو الولاء ، و هذا كان الأصل في استيلائهم و تغلبهم ، فلا يزالون كذلك على انقراضهم ، وغلب مستحقين آخرين ينزعونه من أيديها بالعصبية التّي يقتدرون بها على ذلك ويحوزون الأعمال التّي كانت بأيدي الدّولة الأولى يفضون جبايتها بينهم على تفاضل البأس و الرّجولة و الكثرة في العصابة أو القلّة ...ثمّ تنمو الثروة فيهم بنمو الجباية التّي ملكوها ويزّيّن حبّ الشهوات للاقتدار عليها فيعظم التّرف في الملابس و المطاعم و المساكن والمراكب و الممالك و سائر الأحوال ..ثم انّ البأس يقل من أهل الدّولة بما ذهب لهم من الخشونة و ماصاروا اليه من رقّة الحاشية و التّنعم فيتطاول من بقي من رؤساء الدّولة الى الإستبداد بها غيرة عليها من الخلل الواقع بها ، ويستعد لذلك بما بقي عنده من الخشونة ، ويحملهم على الإقلاع عن التّرف و يستأنف لذلك العصابة بعشيرة أو بمن يدعوه لذلك فيستولي على الدّولة و يأخذ في دوائها من الخلل الواقع و هو أحق النّاس به و أقّر بهم اليه فيصير الملك له و في عشيره و تصير كأنّها دولة أخرى تمرّ عليها الأوقات و يقع فيها ما وقع في الأولى فيستولي آخر منهم كذلك الى أن تنقرض الدّولة بأسيرها و تخرج عن القوم الأولين أجمع وتأتي دولة أخرى مباينة لعصاية هؤلاء في النّسب أو الولاء سنّة الله في عباده"[1].

[1] محمد بن تاويت الطنجي ،رحلة ابن خلدون، مرجع سابق، ص 246،247.

و كما فعل أيضاً في حديثه عن سفر السلطان الناصر فرج من مصر الى الشام لمدافعة التّتر فيقول "هؤلاء الطّطر من شعوب التّرك، و فد اتفق النسابة و المؤرخون على أنّ أكثر أمم العالم فرقتان و هما : العرب و التّرك و ليس في العالم أمّة أو فر منهما عددا هؤلاء في جنوب الأرض و هؤلاء في شمالها،ومازالو يتناولون الملك في العالم فتارة يملك العرب و يزحلون الأعاجم الى آخر الشمال و أخرى يزحلهم الأعاجم و التّرك الى طرف الجنوب سنّة الله في عباده"[1].

فقد ذكر كيف انساق الملك لهؤلاء التّتر و استقرت الدّولة الاسلامية فيهم لذاك العهد ، فأفرق في سياحة تاريخية عاد خلالها الى البدء الخليقة و اعتمار الله الأرض بأصناف البشر "...ثمّ انّ هذه السبعة الأقاليم المعمورة تتقسم من شقّيها و غربيها بنصفين : فنصفها الغربي في وسطه البحر الرّومّي و في النصف الشّرقي من جانبه الجنوبي البحر الهندي و كان هذا النصف الغربي أقل عمارة من النّصف الشّرقي ..و اتفق النّسابون على أنّ النسل كلّه منحصر في بني نوح و في ثلاثة من ولده و هم سام و حام و يافث فمن سام: العرب و العبرانيّون و السّبائيون و من حام : القبط و الكنعانيون و البربر و السّردان و من يافث : التّرك و الرّوم و الخزر و الفرس و الدّيلم و الجيل..و نازع التّرك ملوك فارس في خرسان و ماوراء النّهر و كانت بينهم حروب مشهورة و استقر ملكهم في بني أفراسياب ثمّظهر خاتم الأنبيّاء محمد صلوات الله عليه و جمع العرب على كلمة الاسلام فاجتمعوا له ـ***لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم و لكنّ الله ألّف بينهم***-[2] ..."[3]

[1] محمد بن تاويت الطنجي ،رحلة ابن خلدون ،المرجع سابق ،ص 275.
[2] القرآن الكريم، سورة الأنفال ، الآية 63.
[3] محمد بن تاويت الطنجي ، رحلة ابن خلدون ، مرجع نفسه ، ص 279،278،277.

"و الكتاب بأجمعه فيما عدا هذه الإستطرادات يختلط فيه التاريخ العام للدّول التّي تحدث عنها ابن خلدون و تاريخ حياته الشخصية و يمتزج التّاريخان في كثير من الأحداث و يتعانقان كلّا واحدا في حياة الدّول و حياة الرّجل ، فقد كان رجل دولة و صانع حكومات"[1].

- **اللّغة و الأسلوب:**

يذهب الكتاب و المؤلفون و المبدعون و منهم الرّحالة من أجل ترجمة أفكارهم ومقاصدهم التّي ينشدونها الى اللّغة للتعبير عن تلكم الأخيرة ، لذا كانت المعبر الذّي ينتقل عبره كل ما تصّوره عدسته من مشاهد رأوها أو سمعوا عنها للمتلقي ليشاركه تلك الصّوركما و لو أنّه عاشها هو نفسه.

"لأنّ الهدف من تدوين الرّحلات هوالوصول الى حقيقة الانسان ووضعه في الكون و نجاح الكاتب مرهون بتوضيح هذا الجانب كما يراه"[2]، ومعنى هذا أنّ الرّحالة متى استطاع أن يتحرى الصّدق في عرض مشاهداته فانّ ذلك يجعلها أكثر واقعية و هو منطبق على رحلة ابن خلدون .

ولهذا فانّ "البناء المنطقي خير وسيلة لتحقيق الهدف و هذا البناء يبدأ من الوحدات الصغيرة المثمثلة في الكلمة أو اللّفظة و العبارة و ينتهي الى الرّوح العام كلّه يشمله ويربط بين أجزاءه و يسدّ ثغراته"[3].

[1] حسين محمود حسين، أدب الرّحلة عند العرب، مرجع سابق، ص 63.
[2] عبد الرزاق الموافي ، الرّحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري،مرجع سابق ،ص 75.
[3] نفس المرجع، ص 75.

إنّ القارئ لرحلة ابن خلدون يجد أنّ ألفاظها جاءت سهلة واضحة بعيدة عن التعقيد والغرابة و التّكلف أو الصّنعة ، فلم يخرج ابن خلدون الاّ نادراً عمّا هو معروف عن من أنّه من كبار أئمة الأدب و أعلام البيان العربي و من أبرز المجدّدين في أسلوب الكتابة العربية ، فقد تمّرد على أسلوب الكتابة النثرية الذّي كان سائداً في عصره ، وكانت تكّبله قيود السّجع و المحسنّات البديعية و أحيا أسلوب العربية الأصيل في عهودها الذّهبية السابقة كما وصل على يد عبد الحميد الكاتب في عصر الأمويين و على يد الجاحظ في العصر العباسي هذا الأسلوب الذّي تميّز بالسهولة و الوضوح بعيداً كلّ البعد عن الابهام و الغموض و دقّة التعبير و قوّة التدليل و الترابط، وحسن الأداء و التناسق اذ يعني بتوضيح المعنى أكثر من عنايته بتزويق اللّفظ ، ويشير ابن خلدون نفسه الى هذا الأسلوب و تفّرده فيه بين سائر كتاب عهده فيقول في كتابه للرسائل :" .. و كان أكثرها يصدر عنّي بالكلام المرسل ..فانفردت به يومئذ، و كان مستغرباً عندهم بين أهل الصناعة"[1].

[1] ابن خلدون ،التعريف بابن خلدون ،مصدر سابق ،ص 70.

كما أنّ القارئ لنص الرّحلة يلقى أنّ صاحبها لم يول عناية كبيرة للمحسّنات البديعية و الصّور البيّانية و لا غرابة في ذلك لأنّ حرص ابن خلدون على اظهار الحقائق كما يراها و شهدها أغناه عن الاهتمام بالزينة اللّفظية التّي تحجبها عن المتلقي فقد حاول الوصول الى هدفه من أقصر الطرق فحاول التخلّص من سيطرة المحسنات البديعية و الصور البيانية لايمانه هو نفسه و هو القائل بأنّ "التكلّف فيها و معاناتها يصير الغفلة عن التراكيب الأصلية للكلام فلا يبقى فيه تلك التحسينات"[1] وقد طغى هذا الأسلوب على المؤلف في هذا الكتاب كما في سائر كتبه الآفي مواطن قليلة جارى فيها مكرها الأسلوب المسّجع الرّكيك في بعض قطع قصيرة من رسائله الى صديقه لسان الدّين بن الخطيب مجاملة له في أسلوبه مع اعترافه بقصوره عنه في ذلك بقوله فيه :"و كان الوزير ابن الخطيب آية من آيات اللّه في النظم و النّثر و المعارف و الأدب لا يساجل مداه و لا يهتدي فيها بمثل هداه"[2]، أو كما في قوله كذلك واصفاً أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الشريف الحسني :"و منهم صاحبنا الامام العالم الفذّ فارس المعقول و المنقول صاحب الفروع و الأصول أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الشريف الحسني.."[3]، و قوله كذلك عن نفس الشخص "..و اختص بأولاد الامام و تفقّه عليهما في الفقه و الأصول و الكلام .."[4].

[1] ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص 131.
[2] حسين محمود حسين ، أدب الرّحلة عند العرب ، مرجع سابق ، ص64، ينظر من نماذج سجع ابن خلدون ،ص 91.
[3] نفسه ، ص 69.
[4] نفسه ص 70.

ولم تزد عن ذلك الاّ قليلاً ، فمن الصور البيانية التّي وردت قوله "...و تفجّرت ينابيع العلوم من مداركه ، ثمّ ارتحل الى تونس في بعض مذاهبه.."[1] و هي استعارة مكنية دالة على سعة علم أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الشريف الحسني ..... ومن المترادفات قوله "و قرّبني و أدناني"[2]، و من السّجع نذكر قوله " ودفعوا شرذمة كانت مجمرة ازاءهم ، فاقتلعوا خبائهم"[3].

أمّا اذا تأملنا الجمل التّي كتب بها هذا النص الرّحلي وجدناها سهلة مألوفة و دقيقة ركّزت على الأفعال لاتفاقها و طبيعة الرّحلة لاتسامها بالحركة المتتالية لذا امتاز الأسلوب بالتلقائية و الاسترسال ووضوح المعاني فقد كان للأفعال دور كبير في بيان دلالات الرّحلة .

فمن أهم الخصائص البنيّوية التّي يلتقي و ايّاها القارئ لنص الرّحلة هذا هو شيوع الجمل الفعلية و هي ظاهرة كثيراً ما يعتمدها الرّحالة.

والسبب وراء هذا التدفق الهائل و التواتر المرتفع للجمل الفعلية يعود الى الحركة التّي تعم عالم الخلق الأدبي في هذا النّص ، حركة يفرضها النّص نفسه، وهو ما يؤكده الباحث نواري سعودي أبو زيد في كتابه جدلية الحركة و السكون بقوله " تبدو عبقرية المبدع في استخدام صيغ الأفعال جليّة للدلالة على معان مخصوصة في أزمة معلومة محدّدة مرادة ،و لعل أبرز ما يلوح للدّارس في هذا المقام هو ايحاء الأفعال بمعاني التّحول و الانقلاب .."[4] ، الـأمر الذّي يتفق و رحلة ابن خلدون التّي تفيض بالحيوية و السكون.

و ممّا يلاحظ على أسلوب ابن خلدون في نص الرّحلة أخذه عن القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف كذكره للحديث النبوي قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم:"من قضيت له من حق أخيه شيئاً فانّما أقضي له من النّار"وكان ذلك عندما ثكاتر عليه القوم عند رحلته الى المشرق وولايته القضاء بمصر.

---

[1] حسين محمود حسين ، أدب الرحلة عند العرب ،مرجع سابق ، ص 70.

[2] نفسه، ص 72.

[3] نفسه ص 98.

[4] أبو زيد نواري سعودي،جدليّة الحركةو السكون ، عالم الكتب الحديثة، الأردن ،ط 1، 2011،ص 65.

➢ **الحوار**:

يعّد الحوار من أهم العناصر التّي يجب أن يزّود بها الرّحالة عمله،فهو يتيح الفرصة للشخصيات لتظهر ظهوراً حرّاً، فتعّبر عن نفسها بنفسها،كما أنّ الحوار يؤكّد السّمة الأدبية لكتب الرّحلات، و من الباحثين من يؤكد على ضرورة وجود حوارفي الرّحلات كقول ناصر عبد الرزاق الموافي "انّ الحوار يعّد عامل انقاذ و ايقاظ، انقاذ للعمل الأدبي من التّردي في شرك الذاتية المسرقة أو الاستطراد فيما لا يفيد ، و ايقاظ للقارئ و تنشيط لذهنه لمّا يتضمنه الحوار من حيّوية و فكر متعارض أو جدل يستلزم الانتباه"[1] ..... وعليه فانّنا نلمس للحوار وجوداً في رحلة ابن خلدون في بعض المواقف تأكيداً للصبغة الأدبية لها و تقريباً لها أكثر من الواقع و للمتلقي ومن ذلك مادار بين ابن خلدون و أبو عبد اللّه المقري "سألت صاحبنا قاضي الجماعة بفاس ، وكبير العلماء بالمغرب أبا عبد اللّه المقري مقدمه من الحجّ سنة أربعين ، فقلت له : كيف هذه القاهرة ؟ فقال : من لم يرها لم يعرف عزّ الإسلام. وسألت شيخنا أبا العبّاس بن ادريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال : كأنّما انطلق أهله من الحساب ، يشير الى كثرة أممه وأمنهم العواقب"[2].

هذا و قد تضمنت رحلة ابن خلدون عدداً كبيراً من الأشعار له و لغيره،و لا غرابة في ذلك لأنّ " الشعر له وجود ملحوظ في معظم الرّحلات حتّى أنّه يعدّ من محكيات الرّحلة مثله مثل الأحاديث و الأخبار و المشاهدات و القضايا اللّغوية و غيرها"[3].

ومن شعره نذكر مراسلته للسلطان أبي العباس بتونس بعد أن انصرف عنه من معسكره على سوسة و بلغه أنّه أصابه مرض في طريقه و عقبه بلال فخاطبه قائلاً:

---

[1] ناصرعبد الرزاق الموافي،الرّحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري،مرجع سابق، ص 79.

[2] محمد بن تاويت الطنجي ، رحلة ابن خلدون، مرجع سابق ، ص200.

[3] عبد الرحمن نوال الشوابكة، أدب الرّحلات الأندلسية و المغربية حتّى نهاية القرن التاسع الهجري ، مرجع سابق ، ص 276.

"ضحكت وجوه الدّهر بعد عبوس و تجلّلتها رحمة من بوس

وتوضّحت عزر البشائر بعدما انبهمت فأطلعا حداة العيس

صدعوا بها ليل الهموم كأنما صدعوا الظلام بجذوة المقبوس

فكأنّهم بثوا حياة في الورى نشرت لها الآمال من مرموس

قرّت عيون الخلق منها بالّتي أضفت من النعماء خير لبوس

فكأنّ قومي نادمتهم قرقف شـــربوا النعيم لها بغير كؤوس

من راكب وافي يحيى راكبا و جـــــلس أنس قادة لجليس

و مشفع للّه يؤنس عنده أثر الهدى في المعهد المأنوس

يعتّد منها رحمة قدسية فـــــــتيبوء للرّحمن بالتقديس

طب باخلاص الدعاء و انّه يشفي من الداء العياء و يوسي" [1]

الى آخر ذلك من أبيات يصف فيها بسالة و شجاعة ابن العباس و كيف أنّه باستطاعته التغلب على مرضه و القضاء عليه.

- **الوصف:**

استولت شخصية المؤرخ العلمية على ادراك ابن خلدون و ذهنه في هذا المؤلف أخمدت وملكة الوصف الجغرافي لديه فلم يتطرق في هذا الأخير الاّ ماقاله في وصف القاهرة "..رأيت حضرة الدنيا و بستان العالم، و محشر الأمم و مدرج الذرّ من البشر و ايوان الاسلام و كرسي الملك تلوح القصور و الأواوين في جوّة و تزهر الخوانك و المدارس بآفاقه و تضيء البدور و الكواكب من علمائه و قد مثل بشاطئ بحر النيل نهر الجنّة ، ومدفع مياه السماء ، يسقيهم النّهل و العلل سبحه، و يجيء اليهم الثمرات و الخيرات ثجة ومررت في سكك المدينة بغضّ بزحام المارّة و أسواقها تزخم بالنّعم . وما زلنا نحدث عن هذا البلد ،وبعد مداه في العمران و اتساع الأحوال "[2].

[1] محمد بن تاويت الطنجي ، رحلة ابن خلدون ، مرجع سابق، ص 196.

[2] ابن خلدون ، التعريف، مرجع سابق، ص 246-247.

كما ذكر أقوال بعض شيوخه و أصحابه عنها ، فما هو يذكر أنّ أبو عبد الله المقري يقول له و قد مرّ بها عائداً من الحجّ"من لم يرها لم يعرف عزّ الاسلام"، و أبو العباس بن ادريس يقول له فيها" كأنّما انطلق أهله من الحساب" مشيراً بذلك الى كثرة أممه و أمنهم العواقب ، و ينقل عن أبي القاسم البرجي في ذلك قوله " انّ الذّي يتخيله الانسان فانّما يراه دون الصورة التّي تخيّلها لاتساع الخيال عن كلّ محسوس، الاّ القاهرة فانّها أوسع من كلّ ما يتخيّل فيها"[1].كما سيطرت شخصية المؤرخ بتحقيقه و تدقيقه على ابن خلدون في وصفه للأشخاص فقد تناول الحدبث عن مشايخه صفاتهم و مناقبهم و علمهم و كتبهم" وأبرز وصف سجّله ماقاله في تيمورلنك بعد أن كان لقيه في دمشق ، وهو وصف ينم عن جوانب اهتمامه و تحقيقه يقول ابن خلدون في ذلك –و هذا الملك(نمر) من زعماء الملوك وفراعنتهم ، و الناس ينسبونه الى العلم ، و آخرون الى اعتقاد الرّفض ، لمّا يرون من تفضيله لأهل البيت ، وآخرون الى انتحال السحر ، وليس من ذلك كلّه في شيء ، انّما هو شديد الفطنة و الذكاء ، كثير البحث و اللّحاح بما يعلم و بما لا يعلم عمره بين الستّين و السّبعين و ركبته اليمنى عاطلة من سهم أصابه في الغارة أيّام صباه، على ما أخبرني فيجرّها في قريب المشي و يتناول الرّحال على الأيدي عند طول المسافة و هو مصنوع له و الملك للّه يعطيه من يشاء من عباده"[2]و فيما عدا ذلك فلا نراه يتّعرض لوصف ذي بال، فها هو يحجّ و لا يذكر من رحلته شيئاً عدا طريق الذهاب و الأوبة فيقول" ثمّ مكثت بعد العزل ثلاث سنين و اعتزمت على قضاء الفريضة فودّعت السّلطان و الأمراء ، و زوّدوا و أعانوا فوق الكفاية و خرجت من القاهرة منتصف رمضان سنة تسع و ثمانين الى مرسى الطور بالجانب الشرقي من بحر السويس و ركبت البحر من هنالك الى مكة و دخلتها ثاني ذي الحّجة فقضيت الفريضة في هذه السنة ثمّ عدت الى الينبع فأقمت به خمسين ليلة حتّى تهيّأ لنا الركوب البحر"[3].و هاهو يسافر الى فلسطين في عام 802 هـ--ويزور بيت المقدس- و مدينة الخليل ثمّ بيت لحم و لا يزيد عن قوله واصفاً ذلك " وصلت القدس و دخلت المسجد

[1] ابن خلدون ، التعريف ، مصدرسابق ، ص 247-248.
[2] ينظر المصدر نفسه ، ص 350.
[3] محمد بن تاويت الطنجي ، رحلة ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص 209.

و تبركت بزيارته و الصلاة فيه و تعففت عن الدخول الى القمامة لما فيها من الاشادة بتكذيب القرآن اذ هو بناء أمم النصرانية على مكان الصليب بزعمهم فنكرته نفسي و نكرت الدخول اليه و قضيت من سنّن الزيارة و نافلتها ما يجب و انصرفت الى مدفن الخليل عليه السلّام و مرّرت في طريقي اليه ببيت لحم و هو بناء عظيم على موضع ميلاد المسيح شيّدت القياصرة عليه بناء بسماطين من العمد الصخور منجدة و مصطنعةمرقوما على رؤوسها صور لملوك[1] القياصرة و تواريخ دولهم ميّسر لمن يبتغي تحقيق نقلها بالتراجمة العارفين لأوضاعها و لقد يشهد هذا المصنع بعظم ملك القياصرة و ضخامة دولتهم"[2].

و كما خمد الوصف الجغرافي لرحلته فقد أظهر ابن خلدون على ما يبدو أنّ الحياة الاجتماعية لم تكن محطّ اهتمامه فلم نجد لديه أيّ ذكر لها "إلاّ بما يتّضمن سرده للأحداث التّي تمر بها في حياته و مع ذلك فقد أجاد الحديث في فساد القضاة و خراب ذمم الكتاب و المفتين في مصر و في محاولاته اصلاح الأمر "[3]،يقول في ذلك مطنباً الحديث" فقد كان البر منهم مختلطاً بالفاجر و الطيب ملتبسًا بالخبيث و الحكام ممسكون عن إنتقادهم متجاوزين عمّا يظهرون عليه من هنائهم لما يهومون به من الاعتصام بأهل الشوكة فانّ غالبهم مختلطون بالأمراء معلمين للقرآن و أئمة الصلوات يلبسون عليهم العدالة فيظنون بهم الخير و يقسمون لهم الحط من الجته بتزكيتهم عند القضاة و التوسل لهم فأعضل داؤهم و فشت المفاسد بالتزوير و التدليس بين النّاس منهم ،ووقفت على بعضها فعاقبت فيه بموجع العقاب و مؤلم النكال وكان منهم كتاب الدواوين القضاة و التوقيع في مجالسهم..و استخدموا للأمراء فيما يعرض لهم من العقود باحكام كتابها و توثيق شروطها فصار لهم بذلك شغوف على أهل طبقتهم و تمويه على القضاة بجاهم، يدرعون به ممّا يتّوقعونه من عتبهم..و فشا في ذلك الضرر في الأوقاف و طرق الغرر في العقود و الأملاك فعاملت اللّه في حسم ذلك بما آسفهم عليّ و أحقدهم"[4].

---

[1] ابن خلدون ، التعريف، مصدر سابق، ص 350.
[2] المصدر نفسه، ص 350.
[3] حسين محمود حسين، أدب الرّحلة عند العرب، مرجع سابق، ص 59.
[4] ابن خلدون ، التعريف، مصدرسابق، ص 255-259.

و القارئ لنص الرّحلة يستشفي من خلالها ضمور أحاسيس ابن خلدون الى درجة أنّه بدا قاسياً الى حد كبير خالي الوجدان من أيّة مشاعر انسانية في بعض المواقف التّي تستدعي ذلك.خاصة في أحاديثه عن الطاعون الذّي جرف آلاف الناس و أودى بحياة كثير من مشيخته و الأدهى من ذلك أبويه عام 749فنجده لا يزيد عن قول" لم أزل منذ نشأتي و ناهزت مكبّاً على تحصيل العلم ، حرياً على اقتناء الفضائل متنقلاً بين دروس العلم و حلقاته الى أن كان الطاعون الجارف و ذهب بالأعيان و الصّدور و جميع المشيخة و هلك أبويّ رحمهما الله" [1]، وقوله وهو يتحسّر على أستاذه ابن عبد المهيمن هو الآخر جراء الطاعون فلا يقول أكثر من " ثمّ جاء الطاعون الجارف فطوى البساط بما فيه و هلك عبد المهيمن فيمن هلك و دفن بمقبرة سلفتابتونس لخلّة كانت بينه و بين والدي رحمه الله أيّام قدومهم علينا"[2]، أو ذكره هلاك زوجه و بناته في بحر الاسكندرية في مركب غرق بهم بعد أن استقدمهم من تونس بشفاعة سلطان مصر في شأنهم عند سلطان تونس و هو يذكر هذه المصاب الجلّل في مناسبات ثلاث لا يزيد قوله فيها عن"...فما هو الّا أن وصلوا مرسى الاسكندرية فعصفت بهم الريّاح و غرق المركب بمن فيه و مافيه ، وذهب الموجود والمولود فعظم الأسف و اختلط الفكر"[3] و كذا قوله في موضع آخر عن غرقهم"..و عظم الأسف و حسن العزاء و الله قادر على مايشاء" [4]أمّا المرة الثالثة و كانت قد كثرت عليه الهموم و كثر عليه الشغب بمناصبه العداء من قبل أهل الدّولة في مصر حتّى اضطر الى التّخلي عن منصب القضاء فيقول"..فكثر الشغب عليّ من كل جانب ، و أظلمّ الجّو بيني وبين أهل الدّولة ووافق ذلك مصابيبالأهل و الولد، و صلوا من المغرب في السفين(كذا) فأصابهم قاصف من الرّيح فغرقت و ذهب الموجود و السكن و المولود ، فعظم المصاب و الجزع و رجع الزهد و اعتزمت على الخروج من المنصب".[5]

---

[1] ابن خلدون ، التعريف ،المرجع سابق، ص 55.
[2] المصدرنفسه، ص 27.
[3] المصدر نفسه، ص 285.
[4] المصدر نفسه، ص 311.
[5] المصدر نفسه ،ص 259.

وعلى الرغم من هذا أو ذاك الاّ أنّه و في بعض المرّات يغلب على ابن خلدون –رجل الدّولة – الضعف الانساني فيهيج شوقه لأهله وولده منتجاً لمسات انسانية حانية "من العملاق المنهار"[1]، ومن أمثلة ذلك ما نظمه مخاطباً أبا عنان لاطلاق سراحه.

نقتطف من أبياتها المائتين قوله:

"و انّي على حكم الحوادث نازل تسالمني طوراً و طوراً تحارب

سلوتهم الا ادكار معـــــــاهد لها في اللّيالي الغابرات غرائب

و أنّ نسيم الريّح منهم يشوقني اليهم و تصيبني البروق اللّواغب "[2]

كما عرض ابن خلدون بعض قدراته الأدبية في بعض القصائد و الأشعار و الرسائل النثرية التّي "أوردها في كتابه بمناسبات مديح أو تشفع لدى بعض السلاطين أو وزرائهم ممّا يدّل على تحّليه بملكة أدبية عرضها في هذا الكتاب الى جانب ما عرض من قدرته في التأريخ الخاصة".[3]

و ما مضى ذكره بعض من الفنيّات التّي بنى بها ابن خلدون رحلته و تميّز بها عن سائر نظراء عصره فلمع شأنه و ذاع صيته و أثبث مكانته و مستواه تاركاً لنا هذا المؤلف – النثري- الذّي جمع فيه بين قصة حياته و سيرته الذاتية و بين تنقلاته في مشارق الأرض ومغاربها مطعّماً إيّاه بكثير من الأخبار الأدبية و التاريخية عن حياة الدّول التّي إرتبط بها ليضع لنا مؤلفاً بديعيًا في أدب الرّحلة جنباً إلى جنب مع مؤّلف في التاريخ.

[1] حسين محمود حسن، أدب الرّحلة عند العرب ، مرجع سابق ، ص 61.
[2] ابن خلدون ، التعريف، مصدرنفسه، ص 67.
[3] حسين محمود حسن، أدب الرّحلة عند العرب، مرجع نفسه، ص 62.

أحمد الله الّذي يسر لي مهمتي و أعانني على إنجاز هذا البحث المتواضع فبفضل منه أكملته بعد جهد مبذول توصلت خلاله إلى النتائج التالية من خلال دراستي لهذا البحث :

- تعدّ الرّحلة أدبا من الآداب النثرية الخالصة لإنفصالها عن باقي الآداب النثرية الأخرى له أصوله و قواعده ممّا يسمح لنا بتجنيسه.
- يختلف أدب الرّحلة عن الأدب الجغرافي و الجغرافيا الوصفية في طغيان العناصر الأدبية و الذاتيّة عليه.
- بالرغم من تقاطع أدب الرّحلة مع كثير من الفنون و العلوم و الحقول لا يجعلها وثيقة تاريخية أو جغرافية و لا حتّى نوعا من أنواع القصة و إنّما هو فن له خصوصية قائمة بذاته.
- عرف الإنسان الرّحلة منذ القديم و منهم العرب لما لها من قيمة أدبية و علمية و تعليمية .
- كما اختلفت مواضع الرّحلة باختلاف أغراضها فمنها ماكان بدافع الحّج و منها ماكان بدافع حب السفر و الإستطلاع و منها ماكان بدافع طلب العلم و الإستزادة فيه...
- تدوين أدب الرّحلة كان بطلب من الحاكم أو الأصدقاء أو لتقديم دليل يهتدي به المسافرون أو نتاجاً لرغبة ذاتية في تدوين تلكم الرّحلات.
- نشأ أدب الرّحلة عند العرب بداية من القرن الثالث الهجري-التاسع ميلادي- مصطبغا بصبغة جغرافية و تاريخية لنسّجل استمراره في القرن الرابع الهجري و الخامس الهجري ليشهد هذه المرّة انضمام الرّحالين المغاربة في منتصف ذاك الأخير ليشهد بعد ذلك غزارة في التأليف في القرن السادس الهجري و على غرار القرن الرابع الهجري و مثلهما القرن السابع الهجري شهد فيه ظهور مؤلفات رحليّة ثرية فظهر ابن جبير الذّي اكتملت على يديه أساسيات أدب الرّحلة العربي.
- شهد أدب الرّحلة أوّج تقدمه في القرن الثامن الهجري و ظهر معه الرّحالة الشهير ابن بطوطة و تواصلت الرّحلات في القرن التاسع الهجري لتشهد تقلّصا في أواخره و القرن العاشر الهجري لتتوقف في القرنين الحادي عشر و الثاني عشر الهجريين بسبب وطأة

الحروب و الجّو المشحون في العالم العربي المغاربي خاصة و عرف انتعاشا فيما بعد ذلك من القرون و العصور.

- تغيّرت وجهة الرّحلة في القرن الواحد و العشرين لتكون في غالبيتها نحو الغرب بعد الثورة الصناعية و التّطور التكنولوجي الأوروبي.

- ابن خلدون فيلسوف و مؤرخ و رحالة عربي شهير ، له تاريخ عريق و أعمال محفورة في التاريخ بفضل ماتركه من مصنفات و مؤلفات على غرار المقدّمة.

- يعدّ التعريف بابن خلدون و رحلته غربا و شرقا مؤلفا في السيرة الذاتية ترجم من خلاله ابن خلدون لحياته محققا في نسبه و ذاكرا لشيوخه و لأحوال البلدان كمّا يعدّ مؤلفا في أدب الرّحلة كذلك جاءت متضمنّة في عرضه لتاريخه.

- غلب ابن خلدون المؤرخ على ابن خلدون الإنسان في هذا المؤلَّف فنجده جافا إلى حدٍّ كبير في ذكر مشاعره و أحاسيسه بل و حتّى تجاوزه الوصف لكثيرمن المعالم التّي مرّ بها وارتحل إليها.

- خرج ابن خلدون في هذا المؤلف عن أسلوب الكتابة النثرية الذّي كان سائدا آنذاك مبتعدا في حبكه لقصته و رحلته عن الصنعة اللّفظية و التّكلف في نظم القول فجاء أسلوبه مسترسلا واضح المعاني بعيدا عن الغموض و الإبهام.

قائمة المصادر والمراجع

أوّلا : القرآن الكريم،رواية ورش عن الإمام نافع،المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة،1435 هـ-2014 م.

أ/المصادر:

1. عبد الرحمن بن خلدون،التعرف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ،طبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر1951.
2. عبد الرحمن بن خلدون،التعريف بابن خلدون في آخر كتاب العبر ،دار الكتب العلميّة ،بيروت لبنان الجزء 1.
3. عبد الرحمن بن خلدون ،تاريخ ابن خلدون المسمّى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر ،مؤسّسة جمال للطّباعة والنّشر،بيروت،لبنان.
4. عبد الرحمن بن خلدون،المقدمة،تحقيق عبد السّلام الشدادي،بيت الفنون والآداب .
5. ابن بطوطةمحمد بن عبد الله،تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،الجزء 2 .

المراجع:

6. أحمد بن عمار ،نبذة من الكتاب المسمى نحلة اللبيب بأخبار الرّحلة إلى الحبيب ، مطبعة بير فونتانه ،الجزائر،1902.

7. أبو القاسم سعد الله،آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر ،دار الغرب الإسلامي ،الجزء2،الطبعة2،بيروت.

8. أبوزيد نواري سعودي ،جدليّة الحركة والسكون،عالم الكتب الحديث الأردن ،الطبعة1، 2011.

9. ابن نديم،الفهرست،دار المعرفة،بيروت،لبنان،الجزء3.

10. بشرى محمد صالح ،الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ،المركزالثقافي العربي ،الطبعة1،الدار البيضاء،بيروت، المغرب، 1994.

11. حسين فوزي،حديث السندباد القديم،دار الكتاب اللّلبناني،دارالكتاب المصري،1977.

12. حسني محمود حسين،أدب الرّحلة عند العرب،دار الأندلس،بيروت لبنان،الطبعة2.

13. حسين نصار،أدب الرحلة،دار نوبارللطباعة+الشركة العالمية للنشر الطبعة 1،القاهرة ،1991.

14. حسين نصار،أدب الرحلة،القاهرة مكتبة لبنان،لونجمان،الطبعة1، 1991.

15. خير الدين بن محمودبن محمد بن علي بن فارس ،الزركلي،الأعلام دار الملايين ،الجزء8.

16. زكي محمد حسين،الرحالة المسلمون في العصور الوسطى،دار الرائد العربي ،بيروت،1981/1401.

17. زيتوني لطيف،السيميولوجيا وأدب الرّحلات،عالم الفكر، مج24 ع3،سنة1996.

18. سلمان علوان العبيدي،البناء الفني في القصيدة الجديدة،عالم الحديث الأردن،الطبعة 1، 2011.

19. سميرة أنساعد،الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري،دراسة في النشأة والتطوّر والبنية،دار الهدي ،الجزائر،طبعة 2009.

20. سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، مكتبة غريب،القاهرة.

21. شعيب حليفي ،الرحلة في الأدب العربي(التجنيس,آليات الكتابة، خطاب المتخيل)دار القرويين،الدار البيضاء،المغرب،الطبعة2، 2003.

22. شوقي ضيف،الرّحلات ،دارالمعارف،الطبعة4،القاهرة.

23. صلاح الدين عثمان هشام،تاريخ الأدب الجغرافي ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،الطبعة2، 1987.

24. عبد الرحيم مودن،أدبيّة الرّحلة،دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، الطبعة1 1996/1417.

25. علي عبد الواحد،عبقريات ابن خلدون ،مكتبات عكاظ،جـــــــدّة.

26. عواطف محمد يونس النواب،الرّحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين،دراسة تحليلية مقارنة،مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض،1996.

27. فؤاد قنديل ،أدب الرّحلة في الثّراث العربي،مكتبة الدار العربية، القاهرة،الطبعة2، 2002.

28. محمد بن تاويت الطنجي،رحلة بن خلدون،دار الكتب العلميّة،بيروت لبنان ،الطبعة1، 2004.

29. محمد رياض وتار،توظيف التّراث في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد الكتب العرب،دمشق،2002.

30. مصطفى البشير قط،مفهوم النثرالفني وأجناسه في النقد العربي القديم،دار البازوردي، الأردن ،2009.

31. ناصر عبد الرواق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري،دار النشرللجامعات المصرية، مكتبة الوفاء ، الطبعة1، 1995/1915.

32. نادية محمود عبد الله،الرحلة بين الواقع والخيال في أدب أندريه جيد ،عالم الفكر ،1983، المجلّد13.

33. نوال عبد الرحمن الشوابكة،أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري،دار المؤمون للنشر والتوزيع،الطبعة1 عمان 2008.

المعاجم والقواميس :

34. ابن فارس أحمد،مقاييس اللغة ،دار الجيل،بيروت،مجلّد2.

35. الفيروز أبادي،القاموس المحيط،دار الأحياء للكتب العربية، بيروت، الجزء3، 1985.

36. ابن منظورمحمد بن مكرم،لسان العرب،دارصادر، بيروت ،الطبعة3 الجزء1994،1.

37. إيميل يعقوب وآخرون، المصطلحات اللغوية والأدبية (عربي، إنجليزي، فرنسي) ، دار العلم للملايين،بيروت،الطبعة1، 1997.

38. سعيد علوش،معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة،المكتبة الجامعية الدار البيضاء.

39. عبد النور جبور،المعجم الأدبي،دار العلم للملايين،بيروت،الطبعة2 1984.

40. مجدي وهبة،معجم مصطلحات الأدب،مكتبة لبنان،بيروت،1974.

أطروحات الدكتوراه :

41. المحتمل في الرحلة العربية إلى أوروبا وأمريكا والإتحاد السوفياتي خلال القرنين 19و20 ،إشراف الأستاذ سعيد علوش،أكادير،1998.

42. فن الرحلة في الأدب المغربي القديم،إشراف الأستاذ الدكتور عبد الله العشي،باتنة 2005.

43. مستويات السرد في الرحلة المغربية خلال القرن 19م،إشراف الأستاذ أحمد الطربسي أعراب،الرّباط1995.

المجلّات والدّوريّات :

44. إنجيل بطرس،الرّحلة في الأدب الإنجليزي،مجلة الهلال،دار الهلال مصر،1975.

45. كمال عبد اللّطيف،صورة المغرب وأوروبا في أدب الرّحلات المغربية،مجلّة فكر ونقد،الرباط العدد 1997.6.

46. ميشال ريتشاردسون ،أدب الرحلات والسريالية وعلم الإنسان، ترجمة عبد الحليم زكي،مجلّة ديوجين مصباح الفكر،المجلس للفلسفة والعلوم الإنسانية،م اليونيسكو،ع 152/96.

47. الرّحلة وكتب الرّحلات الأروبية إلى الشرق حتّى نهاية القرن18 ،مجلّة الفكر العربي،ع32 أبريل/ماي1983.

48. محمد رضي القاسمي،الرّحلة وأدبها في اللغة العربية دراسة تاريخية، مجلّة الدّاعي الشهريّة،دار العلوم ديمونيد 2013/1434,ع6-7 السنة37.

49. خطاب الرحلة العربي ومكوّناته البنيويّة،مجلّة علامات في النقد، النادي الأدبي جدّة،ج9 سبتمبر 1993.

50. نجاة عرب الشعبة،خصائص البناء الفنّي في كليلة ودمنة، مجلّة الموقف الأدبي ،إتحاد الكتاب العرب،دمشق ،سوريا.

المصادر والمراجع المترجمة :

51. Tzvetan Todorov « Dictionnaire Encyclopédique de sciences du langages »éd.du seuil 1972 ترجمة جواد الرامي.

52. ميخائيل باختين، الخطاب الروائي،ترجمة محمد برادة ،دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع،القاهرة،الطبعة11، سنة 1987.

المنتديات والمواقع الإلكترونية :

53. منتديات شبكة يتيم الإمارات ، تقرير عن أدب الرّحلات ،دت.

54. Récit de voyage ,Relation,reportage :www.café-umontreal.ca/genres/n.voyage-htm.

55. http://www.aljabriabed.net/n87-05hatimi-htm.